الكتاب التربوي الأول في غزة

الأَسَالِيبُ النَّبَوِيَّةُ

فِي تَرْبِيَةِ الأَبْنَاءِ وَالذُّرِّيَّةِ

تأليف:

خالد بن هشام آل عرفة

تقديم فضيلة الشيخ المربي:

تميم بن سالم آل شبير

الأساليب النبوية

في تربية الأبناء والذرية

تأليف:

خالد بن هشام آل عرفة

ماجستير الشريعة الإسلامية

تقديم فضيلة الشيخ المربي:

تميم بن سالم آل شبير

المختص التربوي ومشرف التربية الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا

قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾



تقديم وتقريظ
فضيلة المربي المثالي:
الشيخ: تميم بن سالم آل شبير

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن سار علىٰ نهجه إلىٰ يوم الدين .. وبعد:

إنه لمن دواعي الشرف والسعادة أن أقدم لهذا الكتاب القيم، الذي لا يستغني عنه مربٍ ولا مربية، ويحتاجه كلُ معلمٍ ومعلمة، وكل أبٍ وأم، وحريٌ ألا يخلو منه بيت مسلم، وجديرٌ أن تزدان به كل مكتبة، وكل مؤسسة تربوية وتعليمية .

فقد حوىٰ الكتاب من كنوز التربية، والأساليب النبوية في تربية الأبناء والذرية درراً وجواهر، ومن بساتين الأدلة الشرعية الفوائد والتوجيهات والفرائد، ومن الآداب المرعية أقاحي وأزاهرّ، ومن القصص الواقعية، والتطبيقات العملية نجاحات وبشائر، فصار بما حواه كأنه البحر الزاخر، وأضحىٰ لانسجام ما فيه كوشي فاخر، لصهرٍ كريمٍ به أعتز وأفاخر،، سعدَ به كلُ من عرفه، هو الشيخ المفضال/ خالد هشام عرفة.

نعم الصهر وزينة الرجال، صاحب علمٍ غزير، وأدب جم، وسمت حسن، وقلمٍ سيَّال، بارك الله فيه، ونفع بعلمه الأنام، ونشر بمؤلفاته علىٰ القلوب المحبة والسعادة والوئام.

إن التربية النبوية هي التربية الرشيدة، التي تعد ركيزة الريادة والتقدم الحضاري والسمو الأخلاقي، فميزان السبق بين الأمم هو نجاح كل أمة في إعداد أبنائها لمواكبة الإبداعات العلمية والتقنية، ومدىٰ تميزها في بناء الأجيال علىٰ أصول العقيدة الصحيحة، والعبادة الخالصة المثمرة، والسلوك القويم، والقيم النبيلة .

إن صلاح الذرية من أعظم النعم الربانية، كما قال الشافعي رحمه الله:

نعم الإله علىٰ العباد كثيرة *** وأجلهـن نجـابـة الأولاد

وأبناؤنا فلذات أكبادنا، ورأس مالنا، وطلابنا وطالباتنا، أمانة في أعناقنا، كما قال القائل:

وإنّمـا أولادنـا بيننـا *** أكبادنا تمشـي علىٰ الأرض

لو هبّت الريـح علىٰ بعضهم *** لامتنعت عينـي من الغمض

إنهم رجال الأمة، ووعدها الباسم، وأملها المشرق، وهم حراس عقيدتنا، وبناة مجدها، وعماد مستقبلها، ومفاتيح عزها ونصرها، إنهم وصية رسول الله ﷺ.

وإن الأمة الإسلامية اليوم بأمس الحاجة إلىٰ تصحيح مسارها في تربية الأبناء والذرية، بالعودة إلىٰ سلسبيل المنهج القرآني السديد، ومَعين الأساليب النبوية الرشيدة لإحسان التربية الشاملة للنشء، حيث تخرج في مدرسة الرفق النبوية وجامعة الحب المحمدية جيل الصحابة الفريد، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وفتح لهم البلاد وقلوب العباد، فكانوا أعلامًا للحق، وقادة للخير، وسادة للناس.

أولئك آبائي فجئْني بمثلهم *** إذا جمعتنا يا جريرُ المجامِع

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

تميم بن سالم آل شبير
المختص التربوي ومشرف التربية الإسلامية

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ) آل عمران: ١٠٢.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا) النساء: ١.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا) الأحزاب: ٧٠ – ٧١.

أما بعد:

لقد مَن الله تعالىٰ علىٰ أمة التوحيد بجيل لم يعرف الناس له نظيراً، فهو جيل رباني فريد، كانوا لله تعالىٰ في منهجهم وأخلاقهم وصفاتهم كما يريد، وذلك لأن المُربي لهم فهم المقصود من الكتاب المجيد، فكان نعم القدوة والأسوة لهذا الجيل الجميل النبيل، فعرف مّن أين يبدأ؟ وكيف يبدأ؟.

إن الأمة الإسلامية تتغنىٰ بالجيل الأول، وتنشد الأشعار فخراً ومدحًا بأولئك الأوائل، أصحاب رسول الله ﷺ، وإن السر الحقيقي في وصولهم لهذه الدرجة السامية والمكانة العالية، هي تأثير المُربي والقدوة لهم، واتباعهم لهذا الرسول الكريم ﷺ ورضاهم بأن يكون قائدهم ومربيهم – كل ذلك بعد توفيق الله تعالىٰ –.

فتأمل أخي المسلم:

أصحاب رسول الله ﷺ ليسوا أناسًا جددًا علىٰ واقع الرسالة، بل هم أنفسهم الذين كانوا يعيشون في مكة والمدينة وغيرها، وهم أنفسهم الذين كانوا في الجاهلية قبل رسالة التوحيد، ولكن بعد نزول رسالة السماء لخاتم الأنبياء ﷺ كان هناك التغير العجيب، والحدث المهيب!!!

فالأشخاص الذين كانوا في الجاهلية هم أنفسهم الذين كانوا في الإسلام، فما الذي تغير يا ترىٰ؟!

إنه وجود مُربٍ ومعلم وقائد اجتمعوا حوله يستمعون النصح والتوجيه، برفق ورحمة ومحبة وابتسامة وكرم وتواضع.

حينها أصبح هذا الجيل جيلاً ربانيـًا فريداً؛ وذلك - بعد توفيق الله تعالىٰ - لِنجاح المرُبي القائد في استعمال الأساليب الناجحة والدقيقة في النصح والتوجيه ومراعاة حال الرعية لما بينهم من الفروق الفردية، ولما اتصف به المُربي من صفات سامية، ومناقب عالية، ليكون مثالاً تطبيقيـًا للتربية بالقدوة الحسنة.

ولقد اختصر القرآن الكريم المنهج النبوي التربوي المسدد في قوله تعالىٰ: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ)

أي بالرحمة واللين والحب والتواضع والوئام كانت التربية ناجحة، والنتائج رائعة، أما لو كانت الأساليب التربوية فيها الفظاظة والغلظة، لما اجتمع هؤلاء حول النبي المعلم ﷺ،لأن الغلظة تعني التفرق وعدم الاستجابة.

وهنا أقول: لن يكون واقع أبنائنا أشد صعوبة من واقع الجاهلية، والذي كان ينضح بالانحلال العقدي والأخلاقي، ومع ذلك فإن القائد المُربي ﷺ بصفاته الجميلة وأساليبه التربوية النبيلة استطاع في فترة وجيزة أن يوجد جيلاً ربانيًا أخلاقيًا، فكانوا صفوة الأمة وأفضلها، وسادة الشعوب وقادتها.

وتأمل: نحن نتحدث عن واقع الجاهلية الأولىٰ، ونتحدث عن جيل كامل، فكيف بك أنت ووظيفتك ومهمتك أيسر وأيسر وأيسر، فأنت وظيفتك متعلقة بأبنائك وبيتك!!!

فإن كنت ناجحًا في إنشاء بيت علىٰ منهاج النبوة والأخلاق الحميدة، حينها تكون مؤهلاً لأن ترتقي إلىٰ قيادة أمة، وأما إن فشلت وأخفقت في تربية أبنائك وصلاح بيتك فكيف تؤهل لقيادة الأمة؟، إذ إنه من المتقرر عند أولي الألباب أن الذي يفشل في الأدنىٰ لا يرتقي لما هو أعلىٰ، فمن عجز عن تحمل اليسير، لا يمكن أن يتحمل الثقيل.

ولهذا فقد قال الله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾،فتأمل تقديم "الذرية" علىٰ "الإمامة".

هذا: وقد أحببت أن يُتوج ويزدان الكتاب بتقديم المربي اللين الرقيق الأديب، والمعلم الخلوق الحصيف اللبيب، والذي سمعتُ منه الفوائد التربوية الغزيرة الوافرة، ورأيتُها علىٰ جوارحه يتقنها بطريقة باهرة، فأضحىٰ بذلك مدرسة للتربية والقيم العطرة الزاهرة، هو الشيخ المفضال / تميم بن سالم آل شبير – حفظه الله ورعاه –

كتبه:

خالد بن هشام آل عرفة

ماجستير الشريعة الإسلامية

الفصل الأول:

نعمة الأبناء وكيفية شكرها،وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأبناء نعمة عظمى.

المطلب الثاني: تربية الأبناء والذرية من أهم الواجبات الشرعية.

المطلب الثالث: ثمار الولد الصالح.

الأولاد نعمة وهبة من الله تعالى:

إن من أعظم النعم على الإنسان نعمة الولد الصالح، ومن أراد أن يدرك حقيقة هذه النعمة فلينظر إلى حال العقيم الذي لا ينجب، تجده يبذل كل شيء من أجل الحصول على الولد.

قال الله سبحانه: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ الشورى: ٤٩ – ٥٠.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [فالله تعالى هو الذي يعطيهم من الأولاد ما يشاء. فمن الخلق من يهب له إناثًا، ومنهم من يهب له ذكورًا، ومنهم من يزوجه، أي: يجمع له ذكورًا وإناثًا، ومنهم من يجعله عقيمًا لا يولد له. {إِنَّهُ عَلِيمٌ} بكل شيء {قَدِيرٌ} على كل شيء، فيتصرف بعلمه وإتقانه الأشياء، وبقدرته في مخلوقاته].(1)

ولهذا فإن طلب الولد من الله كان يصدر بصيغة الهبة كما قال زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ آل عمران: ٣٨، وكما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الصافات: ١٠٠.

الأبناء أطيب الكسب وأفضل الرزق:

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَطْيَبِ كَسْبِكُمْ).(2)

---

(1) تفسير السعدي (1/ 762).

(2) صحيح الجامع الصغير (1487)

أيها الأب هلا شكرت الله على هذه النعمة؟

إن الشكر الحقيقي علىٰ نعمة الولد هو إتقان التربية،وتأديبهم وتهذيبهم وتعليمهم العلوم النافعة في الدنيا والآخرة، فإن أبلغ الشكر هو شكر العمل، **قال الله تعالى:** (ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ) سبأ: ١٣ فأعظم الشكر يكون بالعمل واستخدام النعمة علىٰ وجه يرضي الله تبارك وتعالىٰ.

والحاصل المقصود هنا: أن كمال الشكر هو بإتقان التربية، وإن من الجحود والنكران ترك النعمة وإهمالها، فترك الولد دون رعاية تربوية هو نكران للنعمة يذهب البركة ويقلص الخير، ومن أنكر نعمة فليخشَ أن يسلبها والعياذ بالله تعالىٰ، لا تكتف أيها الأب بشكر اللسان، بل ينبغي أن يكون الشكر بالأعمال، حتىٰ يرزقك الله من فضله، فترىٰ ولدك من صفوة الرجال.

تربية الأبناء والذرية من أهم الواجبات الشرعية:

أوجب الإسلام علىٰ الوالد تربية أبنائه تربية إسلامية حسنة، ويدل علىٰ ذلك جملة من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة:

أما النصوص من كتاب الله تعالى فمنها:

قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) التحريم: ٦.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذه الآية:(عَلِّمُوهُمْ، وَأَدِّبُوهُمْ).[1]

---

(1) تفسير الطبري (23/ 103)

وقولـه سـبحانه: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ طه: ١٣٢.

والمعنىٰ: "أي: حث أهلك علىٰ الصلاة، وأزعجهم إليها من فرض ونفل. والأمر بالشيء أمر بجميع ما لا يتم إلا به، فيكون أمرًا بتعليمهم، ما يصلح الصلاة ويفسدها ويكملها". [1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: [يجب عليه أن يأمر بذلك كل من يقدر علىٰ أمره به]. [2]

ومن نصوص السنة النبوية:

عن عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ). [3]

وجه الدلالة: "وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" فهو مسؤول في الدنيا عن تعليمهم وتربيتهم، ومسؤول عنهم في الآخرة، هل حفظ الأمانة أم ضيعها؟!

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ). [4]

---

(1) تفسير السعدي (4/ 2357)

(2) مجموع الفتاوىٰ (32/ 277)

(3) صحيح البخاري (893)، صحيح مسلم (1829)

(4) صحيح البخاري (7150)

وعَـنْ أَنَـسٍ ﷺ، عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ: (إِنَّ اللهَ سَـائِلٌ كُـلَّ رَاعٍ عَمَّـا اسْـتَرْعَاهُ، أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ؟ حَتَّىٰ يُسْأَلَ الرَّجُلُ عن أَهْلِ بَيْتِهِ). (1)

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ). (2)

قال العلامة ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: [ينبغي تدريب الصبيان علىٰ جميع شرائع الإسلام، وحضورهم مع الجماعات ليستأنسوا إليها، وتكون لهم عادة إذا لزمتهم، وإذا ندبوا إلىٰ صلاة الجنازة، ليدربوا عليها]. (3)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: [كَانُوا يُصَوِّمُونَ الصِّغَارَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَغَيْرَهُ فَالصَّبِيُّ يُثَابُ عَلَىٰ صَلَاتِهِ وَصَوْمِهِ وَحَجِّهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِ، وَيُفَضَّلُ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ كَعَمَلِهِ]. (4)

قطف الثمار بتربية الأبناء الأبرار:

إن لصلاح الأبناء وحسن تربيتهم ثمارًا وفوائد جليلة، يتحصل عليها المربي، وذلك من شأنه أن يحفز الآباء ويدفعهم إلىٰ إتقان التربية، ورفع مستوىٰ المعايير التربوية.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ). (5)

---

(1) صحيح ابن حبان (1562)، السلسلة الصحيحة (1636)

(2) صحيح الجامع الصغير (4026)

(3) شرح صحيح البخاري (3/ 304)

(4) مجموع الفتاوىٰ (4/ 278)

(5)صحيح مسلم (1631).

جاء في تحفة الأحوذي: [قَيَّدَ الْوَلَدَ بِالصَّالِحِ؛ لِأَنَّ الْأَجْرَ لَا يَحْصُلُ مِنْ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ دُعَاءَهُ تَحْرِيضًا لِلْوَلَدِ عَلَىٰ الدُّعَاءِ لِأَبِيهِ]. (1)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قال،رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّىٰ هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ). (2)

⬅ **قلت:** لو لم يرد في فضل التربية وثوابها إلا هذا الحديث لكفىٰ!.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: (أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ: مُرَابِطٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أُجْرِيَ لَهُ مِثْلُ مَا عَمِلَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهَا لَهُ مَا جَرَتْ، وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا فَهُوَ يَدْعُو لَهُ). (3)

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كان له ثلاثُ بناتٍ، أوْ بنتانِ، فأحْسَن صُحبَتُهنَّ واتَّقىٰ الله فيهِنَّ؛ فله الجنَّةُ). وفي رواية: (فأدَّبهنَّ وأحسَن إليْهِنَّ وزوَّجهُنَّ؛ فله الجنَّةُ) وفي رواية:(مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ فَأَدَّبَهُنَّ وَرَحِمَهُنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ). (4)

جاء في عون المعبود: [(مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ) أَيْ تَعَهَّدَهُنَّ وَقَامَ بِمُؤْنَتِهِنَّ (فَأَدَّبَهُنَّ) أَيْ بِآدَابِ الشَّرِيعَةِ وعلمهن (وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ) قَالَ الْمَنَاوِيُّ: أَيْ بَعْدَ الزَّوَاجِ بِنَحْوِ صِلَةٍ وَزِيَارَةٍ (فَلَهُ الْجَنَّةُ) أَيْ دُخُولُهُ مَعَ السَّابِقِينَ]. (5)

---

(1) تحفة الأحوذي(4/ 522)

(2) صحيح الجامع الصغير (1617)

(3) صحيح الجامع الصغير (22247)

(4) صحيح الترغيب والترهيب (1973)

(5) عون المعبود (14/ 38)

الفصل الثاني:

تربية الطفل قبل ولادته، وعند ولادته، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: رعاية الولد باختيار الأم الصالحة.

المطلب الثاني: أذكار ليلة الزفاف.

المطلب الثالث: طلب الذرية الصالحة من الله الكريم.

المطلب الرابع: الأذان في أذن المولود.

المطلب الخامس: اختيار الاسم الحسن للمولود.

المطلب السادس: العقيقة عن المولود.

المطلب السابع: الرضاعة.

رعاية الولد باختيار الأم الصالحة:

حرص الإسلام علىٰ تحري الأسباب التي تساهم في تربية الأبناء تربية حسنة سليمة، كخطوة تمهيدية قبل مجيء الأبناء إلىٰ الحياة الدنيا، وقد شرع لذلك جملة من الأمور، أهمها: اختيار الزوجة الصالحة، فأرشد الشرع الحكيم الرجال إلىٰ اختيار الزوجة ذات الدين، حرصًا علىٰ سلامة النطفة ونقائها وسلامتها الدينية والدنيوية.

قال رسول الله ﷺ:(تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، فَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ). [1]

فالنبي ﷺ يرشدنا إلىٰ اختيار الزوجة الصالحة؛ لأن الابن يتأثر بطبع أمه وصفاتها، يقول العلامة المناوي في شرحه للحديث:(فإن الولد ينزع إلىٰ أصل أمه وطباعها، قيل: ويدخل فيه اختيار المرضعة في أصلها وأهلها وخلقها). [2]

وقد حذر العلماء من استرضاع الحمقاء، وهي: "خفيفة العقل. ووجه النهي أن للرضاع تأثيرًا في الطباع، فيختار من لا حماقة فيها ونحوها". [3]

قال **عبد الرحمن بن قاسم** في هذا الصدد: [للرضاع تأثير في الطباع، فيختار من لا حماقة ونحوها فيها، وسيئة الخلق، ونحو ذلك في معنىٰ الحمقاء، فدل الحديث علىٰ كراهة ذلك].

وحكىٰ **القاضي**:[إن من ارتضع من امرأة حمقاء خرج الولد أحمق، ومن ارتضع من سيئة الخلق تعدىٰ إليه]. [4]

---

(1) السلسلة الصحيحة (1067)

(2) فيض القدير (3/ 237)

(3) سبل السلام (2/ 318)

(4) حاشية الروض المربع (7/ 106)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ). [1]

⇐ لأن الزوجة ذات الدين تحسن العشرة، وتحسن التربية، وتتقن صناعة الجيل الرباني الفريد، الذي يكون لوالديه ولأمته قرة عين.

★★★ ولهذا أعجبتني قصة يحدثها أحد الدعاة حيث قال: (جاء والد لأحد الحكماء وقال له: أريد تربية ابني،فماذا أفعل؟ قال الرجل الحكيم: كم عمره؟ قال الوالد: شهر، فأجاب الحكيم: لقد تأخرت كثيراً،كان ينبغي عليك أن تحسن تربيته قبل أن يولد).

أذكار ليلة الزفاف والجماع:

كما أن الإسلام أرشد إلىٰ الاختيار الحسن للزوجة، كذلك فإنه أوصىٰ بحصن ودرع يصنعه الوالدان للابن قبل ولادته.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا). [2]

⇐ واتخاذ الوسائل التي تحمي الولد من الشيطان هذا نوع من تربيته، ووسيلة لحمايته.

طلب الذرية الصالحة من الله الكريم:

احرص أيها الأب علىٰ الدعاء الخالص بأن يرزقك الله تعالىٰ ولداً يكون قرة عين لك، فإن هذا من أقوىٰ الأسباب التي تعين علىٰ صلاح الولد وحسن تربيته، وهذا هو هدي الأنبياء عليهم السلام.

---

(1) صحيح البخاري (5090)

(2) صحيح البخاري (141)

كما قال **زكريا** عليه السلام: (رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) آل عمران: ٣٨، فتأمل كيف أنه طلب ذرية موصوفة بالطيبة؟، ولم يقل ذرية فحسب، بل يريدها طيبة مباركة!.

وكما قال إبراهيم عليه السلام: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) الصافات: ١٠٠.

⇦ فتأمل كيف أنه يطلب من ربه الكريم الأبناء الصالحين، والجدير بالذكر هنا: أن إبراهيم وزكريا عليهما السلام يطلبان من الله تعالىٰ الولد وهما عقيمان لا ينجبان، ومع أن هذا هو الحال إلا أن هذا لم يدفعهما إلىٰ تشهي الولد فحسب، بل يريدان ولداً صالحًا طيبًا، مع أن حال العقيم هو تشهي الولد بحرارة دون انتباه أو بحث عن صلاحه قبل الولادة، ولكن الأنبياء يعلموننا فائدة في هذا الباب، أن الولد لا طعم بوجوده دون صلاحه.

وكأن من ولد له أولاد غير صالحين، فهو أشبه بالعقيم، لانعدام الثمرة المرجوة من النسل.

★★★ يؤيد ذلك ويوضحه ما فعله الخضر بالغلام حينما قتله، خشية أن يرهق والديه بكفره كما هو موضح في سورة الكهف، فلما كان هذا الولد وجوده علىٰ وجه يتنافىٰ مع المقصود من الذرية، كان انعدامه أفضل .

ولهذا فإن دعاء عباد الرحمن المؤمنين: (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) الفرقان: ٧٤.

الأذان في أذن المولود:

كما أن الإسلام حرص على اتخاذ الأسباب المعينة على التربية قبل الولادة، كذلك فإنه شرع جملة من الأحكام التي تعين وتساعد على صلاحه وحفظه حين الولادة، وهذا يجعلنا نتأمل مدى اهتمام الإسلام بالطفل، حيث اهتم به في كل المراحل.

فعَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ رضي الله عنه، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَذَّنَ فِي أُذُنِ الحَسَنِ ابْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ). (1)

قال العلامة **ابن القيم** رحمه الله في صدد بيان هذا الحديث: [وسر التأذين –والله أعلم– أَن يكون أول مَا يقرع سمع الْإِنْسَان كَلِمَاته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، وَالشَّهَادَة الَّتِي أول مَا يدْخل بهَا فِي الْإِسْلَام، فَكَانَ ذَلِك كالتلقين لَهُ شعار الْإِسْلَام عِنْد دُخُوله إِلَى الدُّنْيَا كَمَا يلقن كلمة التَّوْحِيد عِنْد خُرُوجه مِنْهَا، وَغير مستنكر وُصُول أثر التأذين إِلَى قلبه وتأثيره بِهِ وان لم يشْعر، مَعَ مَا فِي ذَلِك من فَائِدَة أُخْرَى وَهِي هروب الشَّيْطَان من كَلِمَات الْأَذَان، وَهُوَ كَانَ يرصده حَتَّى يُولد فيقارنه للمحنة الَّتِي قدرهَا الله وشاءها، فَيسمع شَيْطَانه مَا يُضعفهُ ويغيظه أول أَوْقَات تعلقه بِهِ.

وَفِيه معنى آخر وَهُوَ أَن تكون دَعوته إِلَى الله وَإِلَى دينه الْإِسْلَام وَإِلَى عِبَادَته سَابِقَة على دَعْوَة الشَّيْطَان كَمَا كَانَت فطْرَة الله الَّتِي فطر عَلَيْهَا سَابِقَة على تَغْيِير الشَّيْطَان لَهَا وَنَقله عَنْهَا]. (2)

---

(1) سنن الترمذي (1514)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(2) تحفة المودود بأحكام المولود (1/ 30)

اختيار الاسم الحسن والكنية الطيبة:

عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ). (1)

وأحسن الأسماء للمولود ما أضيف إلىٰ الله تعالىٰ، ليتربىٰ الولد من صغره علىٰ العبودية لله تعالىٰ، وليتذكر أنه عبد لله تعالىٰ، فيكون بذلك عزيزاً عظيماً؛ لأن العبودية لله تعالىٰ هي أسمىٰ المقامات، وأرفع الدرجات.

وعَنِ ابْنِ عُمَر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَىٰ اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ). (2)

قال العلامة **أبُو مُحَمَّد ابن حزم** رحمه الله: [اتَّفقُوا علىٰ اسْتِحْسَان الْأَسْمَاء المضافة إِلَىٰ الله كَعبد الله وعبد الرَّحْمَن وَمَا أشبه ذَلِك، فقد اخْتلف الْفُقَهَاء فِي أحب الْأَسْمَاء إِلَىٰ الله، فَقَالَ الْجُمْهُور: أحبها إِلَيْهِ عبد الله وَعبد الرَّحْمَن، قَالَ سعيد بن الْمسيب: أحب الْأَسْمَاء إِلَيْهِ أَسمَاء الْأَنْبِيَاء، والْحَدِيث الصَّحِيح يدل علىٰ أَن أحب الْأَسْمَاء إِلَيْهِ عبد الله وَعبد الرَّحْمَن].

وقد كان هدي النبي ﷺ تسمية المولود بالأسماء المضافة لله تعالىٰ تارة، وبأسماء الأنبياء تارة أخرىٰ.

تسمية المولود بالأسماء المضافة لله تعالى:

عَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا غُلَامٌ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: (سَمِّ ابْنَكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ). (3)

---

(1) سنن أبي داود (4948).قال النووي (الأذكار/ 849): إسناده جيد.

(2) صحيح مسلم (2132)

(3) صحيح البخاري (6186)

تسميته المولود باسم الأنبياء:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ). (1)

عن يُوسُف بْن عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَّامٍ رضي الله عنه قَالَ: (سَمَّانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يُوسُفَ، وَأَقْعَدَنِي عَلَىٰ حِجْرِهِ، وَمَسَحَ عَلَىٰ رأسي). (2)

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: [وَلَمَّا كَانَ الْأَنْبِيَاءُ سَادَاتِ بَنِي آدَمَ، وَأَخْلَاقُهُمْ أَشْرَفَ الْأَخْلَاقِ، وَأَعْمَالُهُمْ أَصَحَّ الْأَعْمَالِ، كَانَتْ أَسَمَاؤُهُمْ أَشْرَفَ الْأَسْمَاءِ، فَنَدَبَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَىٰ التَّسَمِّي بِأَسْمَائِهِمْ، كَمَا فِيسُنَنِ أبي داود وَالنَّسَائِيِّ عَنْهُ:(تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ) ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ إِلَّا أَنَّ الِاسْمَ يُذْكَرُ بِمُسَمَّاهُ وَيَقْتَضِي التَّعَلُّقَ بِمَعْنَاهُ لَكَفَىٰ بِهِ مَصْلَحَةً، مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ حِفْظِ أَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَذِكْرِهَا، وَأَنْ لَا تُنْسَىٰ، وَأَنْ تُذكرَ أَسَمَاؤُهُمْ بِأَوْصَافِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ]. (3)

⇐ قلت: وفي معناه التسمي بأسماء الشهداء الذين بذلوا الأرواح لإعلاء كلمة الإسلام، جاء في تَارِيخ ابْن أَبي خَيْثَمَة أَن طَلْحَة كَانَ لَهُ عشرَة من الْوَلَد كل مِنْهُم اسْم نَبِي وَكَانَ للزبير عشرَة كلهم تسمىٰ باسم شَهِيد فَقَالَ لَهُ طَلْحَة: أَنا أسميهم بأسماء الْأَنْبِيَاء وَأَنت تسمي بأسماء الشُّهَدَاء، فَقَالَ لَهُ الزبير: فَإِنِّي أطمع أَن يكون بني شُهَدَاء وَلَا تطمع أَن يكون بنوك أَنْبيَاء". (4)

(1) صحيح مسلم (2315)

(2) صحيح الأدب المفرد (282)

(3) زاد المعاد (2/ 312)

(4) تحفة المودود بأحكام المولود (1/ 128)

⇦ **أيها المربي**: احرص علىٰ اختيار أحسن الأسماء لأبنائك؛ حتىٰ يرتبط ولدك بصاحب هذا الاسم، فيقتبس من صفاته، ويتعلق بشخصيته، فيقتدي به، فمثلاً: قل له سميتك عمر، تأسيًا بأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، فأريدك أن تكون مثله، وقل له سميتك حمزة تأسيًا بأسد الله حمزة بن عبد المطلب، وأريدك أن تكون مثله... إلخ.

★★★ قصة واقعية: كنت مدرسًا للصف التاسع الإعدادي، وكان في الفصل طالب اسمه"أسير" فسألته، لماذا اختار أبوك هذا الاسم؟

قال: شعوراً بأسرىٰ المسلمين، وتعاطفًا معهم...!

تأمل كيف أن الطالب ارتبط بقضية عظمىٰ من قضايا المسلمين من خلال هذا الاسم.

وإن هذا الأمر يتأكد في هذا الزمان الذي انتشر فيه التشبه بأعداء الإسلام، فنرىٰ كثيراً من أبناء المسلمين يقلدون الكفار في مظهرهم وعاداتهم، فأين أنت أيها الأب من دفع هذا الخطر؟!

⇦ وفي هذا المقام نحذر الآباء من التسمية بأسماء مذمومة شرعًا أو فيها تشبه بالكفار، أو تكون ذميمة المعنىٰ، فإن هذا له أثر علىٰ النفس، فمن وقع في شيء من ذلك فعليه تغييره، فهذا منكر وضرر ينبغي إزالته وتغييره.

عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت:(إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُغَيِّرُ الِاسْمَ الْقَبِيحَ). [1]

قال العلامة **ابن القيم**: [كَانَ رَسُول الله ﷺ شَدِيد الْكَرَاهَة لذَلِك جدًا حَتَّىٰ كَانَ يُغير الِاسْم الْقَبِيح بالْحسنِ وَيتْرك النُّزُول فِي الأَرْض القبيحة الِاسْم والمرور بَين

(1) السلسلة الصحيحة (207)

الجبلين الْقَبِيح اسمهما، وَكَانَ يحب الِاسْم الْحسن والفأل الْحسن... إن بَين الِاسْم والمسمىٰ علاقَة ورابطة تناسبه، وقلما يتَخَلَّف ذَلِك، فالألفاظ قوالب للمعاني والأسماء أَقْوَال المسميات]. (1)

★★★ وتصديقًا لذلك تأمل قصة الفاروق عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عندما قَالَ لِرَجُلٍ: مَا اسْمُكَ؟

فَقَالَ: جَمْرَةُ. قَالَ عمر: ابْنُ مَنْ؟قَالَ: ابْنُ شِهَابٍ.

قَالَ عمر: مِمَّنْ؟ قَالَ: مِنَ الْحُرَقَةِ، قَالَ عمر: أَيْنَ مَسْكَنُكَ؟ قَالَ: بِحَرَّةِ النَّارِ.

قَالَ: بِأَيِّهَا؟ قَالَ: بِذَاتِ لَظَىٰ.

قَالَ عُمَرُ: أَدْرِكْ أَهْلَكَ فَقَدِ احْتَرَقُوا.

قَالَ: فَكَانَ كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. (2)

وتعليقًا علىٰ هذه القصة قال ابن القيم: [فَعَبَرَ عمر مِنَ الْأَلْفَاظِ إِلَىٰ أَرْوَاحِهَا وَمَعَانِيهَا، كَمَا عَبَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ اسْمِ سُهَيْلٍ إِلَىٰ سُهُولَةِ أَمْرِهِمْ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ]. (3)

التسمية السيئة من أسباب العقوق:

★★★ ولنا أن نتأمل هذه القصة: (جاء رجل إلىٰ **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد وأنَّبه علىٰ عقوقه لأبيه، ونسيانه لحقوقه عليه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق علىٰ أبيه؟قال عمر: بلىٰ، قال: فما هي يا أمير

(1) زاد المعاد (1/ 51)

(2) موطأ مالك (3570)

(3) زاد المعاد (2/ 308)

المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب"القرآن"، قال الولد: يا أمير المؤمنين؛ إن أبي لم يفعل شيئًا من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جعلًا"أي: خنفساء"، ولم يعلمني من الكتاب حرفًا واحدًا، فالتفت عمر إلىٰ الرجل وقال له: جئت إليّ تشكو عقوق ابنك، قد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك).

الكنية الطيبة والهادفة للولد الصغير:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه:(عَجِّلُوا بِكُنَىٰ أَوْلَادِكُمْ حتىٰ لَا تُسْرِعِ إِلَيْهِمْ الْأَلْقَابُ السُّوءُ). [1]

وقد كان هذا هدي المربي الأول رسولنا عليه الصلاة والسلام،فعن أَنَس بْنَ مَالِكٍ أنـه كـان يَقُولُ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُخَالِطُنَا، حَتَّىٰ كَانَ يَقُولُ لأَخٍ لِي صَغِيرٍ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ). [2]

قال العلامة النووي رحمه الله: يستفاد من هذا الحديث [تَكْنِيَة مَنْ لَمْ يُولَدْ لَهُ وَتَكْنِيَة الطِّفْلِ وجواز المزاح فيما ليس إثمًا، وجواز تصغير بَعْضِ الْمُسَمَّيَاتِ وَمُلَاطَفَةِ الصِّبْيَانِ وَتَأْنِيسِهِمْ، وَبَيَانُ ماكان النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَكَرَمِ الشَّمَائِلِ وَالتَّوَاضُعِ]. [3]

⇐ **فتأمل** الهدي الحسن في تكنية الأطفال، والأثر الجميل المترتب علىٰ هذا السلوك، ولك أن تتأمل أن الرسول الكريم كان عنده مهام وأشغال كثيرة (فهو الإمام والقاضي والمفتي والمجاهد والمصلح....) وهذا لم يمنعه من مداعبة الأطفال، وتكنيتهم بالكنية

---

(1) الآداب الشرعية (1/ 454)

(2) سنن الترمذي (333)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح

(3) شرح صحيح مسلم (14/ 128)

الحسنة. لأن هذا من أهم أعمال المربي، ولأن هذا مما يصلح حال الأمة، فلعل هذا الطفل يكون في المستقبل عظيمًا أو قائداً أو عالمًا.

⇐ **أيها المربي**: احرص علىٰ تكنية ولدك بكنية طيبة هادفة، يكون لها الأثر الجميل في حياته، قل له: أنت أبو محمد: تأسيًا بالنبي الأمين محمد، قل له أنت أبو بكر: تأسيًا بأبي بكر الخليفة الأول، قل له: أنت أبو خالد: تأسيًا بالقائد خالد بن الوليد، قل له أنت أبو عبيدة: تأسيًا بأبي عبيدة بن الجراح -رضوان الله عليهم جميعًا-.

ومن الفوائد المترتبة على تكنية الولد:

1- تعلق الولد وارتباطه بالشخصية الإسلامية المثالية.

2- تحسين سلوك الولد من خلال تقليده لهذه الشخصية.

3- زيادة الثقة في نفس الولد، فيشعر بمكانته وقيمته العالية.

4- تحمله المسؤولية من صغره، فيتعامل مع نفسه أنه ليس بطفل، بل هو رجل كبير المقام.

5- احترامه وعلو شأنه بين الناس والأقارب والأصحاب؛ لأن النفس تميل إلىٰ احترام الكنية الحسنة، وبالتالي يحترمون صاحبها.

العقيقة عن المولود:

العقيقة أو النسيكة هي من جملة الأحكام التي شرعها الإسلام عناية ورعاية بالمولود، وليكون أكثر خيرية، وهذا من شأنه أن يساهم في تيسير تربيته علىٰ الوجه المطلوب، إذ إنه من جملة الأسباب الشرعية المعينة علىٰ تحصيل الذرية الطيبة، ولأهميتها وفضلها قال بعض العلماء بوجوبها، والجمهور علىٰ الندب والاستحباب.

فعَنْ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:(الغُلامُ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ يُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُسَمَّىٰ، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ). (1)

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: [وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّهُ رَهِينَةٌ فِي نَفْسِهِ مَمْنُوعٌ مَحْبُوسٌ عَنْ خَيْرٍ يُرَادُ بِهِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُعَاقَبَ عَلَىٰ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ حُبِسَ بِتَرْكِ أَبَوَيْهِ الْعَقِيقَةَ عَمَّا يَنَالُهُ مَنْ عَقَّ عَنْهُ أَبَوَاهُ، وَقَدْ يَفُوتُ الْوَلَدَ خَيْرٌ بِسَبَبِ تَفْرِيطِ الْأَبَوَيْنِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ كَسْبِهِ كَمَا أَنَّهُ عِنْدَ الْجِمَاعِ إِذَا سَمَّىٰ أَبُوهُ لَمْ يَضُرَّ الشَّيْطَانُ وَلَدَهُ، وَإِذَا تَرَكَ التَّسْمِيَةَ لَمْ يَحْصُلْ لِلْوَلَدِ هَذَا الْحِفْظُ]. (2)

ويقول ابن القيم رحمه الله: [فَكَانَت الْعَقِيقَة فداء وتخليصًا لَهُ من حبس الشَّيْطَان لَهُ وسجنه]. (3)

⇐ فالحاصل من كلامه: أن ثمة خيرًا محبوسًا عن الطفل، ولا يأتي إليه هذا الخير إلا بالعقيقة، ولا يلزم من عدمها وجود الضرر، إنما هو مزيد خير يراد بالطفل إذا عق عنه والده، فكان من المستحب أن يقوم بها الوالد كجزء من تربية الولد ورعايته علىٰ الوجه الأكمل، كما أن فيها تجسيداً لشكر النعم، وهذا من شأنه أن يبارك في الطفل.

⇐ فتأمل **أيها المربي**: كل هذه التشريعات جاءت لرعاية الطفل والحفاظ عليه، والعلو من شأنه ومكانته.

---

(1) سنن الترمذي(1522)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(2) زاد المعاد (2/ 297)

(3) تحفة المودود (1/ 74)

الرضاعة:

من مظاهر التربية الرائعة إرضاع الأم ولدها، فهي بذلك تحقق معظم المعاني التي لأجلها كان علم التربية، فيها الحنان والرفق وصدق الانتماء، والحب، والإيثار، والرعاية بصورتها المثالية.

وقد شرع الإسلام الرضاعة مدة عامين كاملين، يتحصل فيهما الطفل علىٰ قدر كبير من الحب والحنان وحسن الرعاية، وجميل التربية.

ولقد أثبتت بعض الدراسات المعاصرة أن للرضاعة تأثيراً كبيراً في مدىٰ تقوية الصلة بين الأم وولدها، وفي ذلك قال أحد العلماء المعاصرين: إن من أسباب العقوق في هذا الزمان التوقف عن الرضاعة الطبيعية، واستعمال الحليب الصناعي.

كما أثبت الطب الحديث فوائد صحية كثيرة تترتب علىٰ رضاعة الطفل من أمه، كما أنه يترتب علىٰ ذلك فوائد صحية للأم نفسها.

ولقد أجاز الإسلام للمرأة المرضع الفطر في رمضان، كي تؤدي حق ولدها علىٰ أكمل وجه، حفاظًا علىٰ الطفل من الأذىٰ أو نحو ذلك.

فتأملوا رحمة الإسلام بالأطفال، وتأملوا مدىٰ اهتمامه بالأطفال، إنه دين رعاية الضعفاء! بل إن هذا الدين الحنيف أجاز للحامل الفطر في رمضان رحمة بالجنين الذي في رحمها، وفي ذلك تأكيد علىٰ حق الجنين، هذا الأمر الذي لم يوجد إلا في الإسلام، فالذي نشاهده عند الآخرين هو ترخيص الإجهاض بدعوىٰ الحرية ..!

⟸ تأمل: رحمة الإسلام ومدىٰ رعايته بالطفل ، قبل الولادة وبعدها .

⟸ وهنا **رسالة للآباء**: أن يرحموا الزوجات اللواتي يكن في مدة الرضاعة، ولا يثقلوا عليهن الأعباء، فإذا كان ربنا الخالق العظيم، رخص للمرضع وخفف عنها في هذه الفترة وأسقط عنها ركنًا من أركان الإسلام، فما بالك أنت أيها المخلوق الضعيف!!!

الفصل الثالث:

القرآن الكريم وتربية الأبناء،وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قصة نوح عليه السلام مع ابنه.

المطلب الثاني: قصة لقمان الحكيم مع ابنه.

المطلب الثالث: قصة يعقوب عليه السلام مع أبنائه.

القرآن الكريم وتربية الأبناء:

القرآن الكريم هو دستور العالمين الذي يتعين السير عليه، عقيدة، وشريعة، وسلوكًا، ما أعظمه من كتاب لو تدبرناه وتأملناه، فهو كتاب عظيم، لا يشعر بعظمته،وينتفع منه، إلا من أعطاه حقه، تلاوة وتدبرًا وفقهًا وعملاً.

وعند التحقيق نجد أن القرآن الكريم كله تربية، ولكن أي تربية، إنها تلك التربية عميقة الأثر، عظيمة القدر.

لو تأملناه، لوجدنا أن كل الفوائد التربوية هي في القصص القرآنية.

فما تحدث التربويون المعاصرون بشيء إلا وجدناه في كتاب الله المجيد، ومع اليقين أنه يوجد كثير مما لم ندركه بعد.

وقد اكتفيت من هذا الكتاب المجيد بذكر وبيان ثلاث من القصص القرآنية المشتملة علىٰ القيم والوسائل التربوية.

ولكنني قبل الشروع فيها، أحببت أن أقول: لقد تعجبت وتعجبت من سر الربط بين الآيات الأُول من سورة القصص حينما قال ربنا الكريم: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ القصص: ٤ – ٧.

⇦ تأمل يرحمك الله: فرعون ونظامه يطغىٰ، فرعون يتكبر، فرعون يفسد في الأرض، فرعون يقتل الأبرياء، فرعون يتسلط علىٰ الضعفاء... فما السبيل للخروج من هذا الواقع المرير..؟!

الحل والعلاج لإنهاء هذا الطغيان والفساد هو في الآية رقم (7) قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

فبعد تشخيص الواقع وبيان حاله، كان الخطاب متوجهًا إلىٰ أم موسىٰ..!

فما شأن فساد فرعون، وشأن الرضاعة..!

⇦ وسر المسألة وسبب الربط بينهما:

هو أن سبيل الخلاص من هذا الطغيان والفساد تربية الجيل.

سبيل الخلاص هو بيد الوالدين، عندما يهذبان ويصلحان الذرية والأولاد، فيخلصون الأمة من هذا الفساد العريض.

وكأن القرآن يقول: صحيح أن فرعون طغىٰ، لكن اجتهدي يا أم موسىٰ في تربية ورعاية "موسىٰ" حتىٰ يقضىٰ علىٰ هذا الفساد والطغيان.

ويؤكد ذلك أنه سبق هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ .

وقد تحقق المقصود، فهلك فرعون وجنده ونظامه، وبقيت كلمة الله وشريعته، وعلا حكمه وسلطانه .

⇐ **أيها المربي:**

إذا أردت التخلص من واقع الأمة المؤلم، فالعلاج والدواء بيدك وعندك، إنها التربية الإسلامية للأبناء.

إذا أردت لشريعة الإسلام أن تسود، ولحكم الله أن يقود فإن الأسباب والوسائل مودعة عندك.

إذا أردت تخليص الأمة المسلمة من الظلم والفساد والقهر، فإن العلاج بيدك، وهو في بيتك.

قصة نوح عليه السلام مع ابنه

قال الله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هود: ٤٠ – ٤٤.

الفوائد التربوية المستفادة من القصة:

★ **الفائدة الأولى:** "وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ"، فهؤلاء القليل هم إحدىٰ زوجاته وأبناؤه وزوجاتهم[1]، واتباعهم له وإيمانهم برسالته دليل علىٰ نجاح تربيته وحسن وسائله وأساليبه التربوية مع ذريته.

فاتباعهم له مع ضيق الحال وشدة الغربة التي كانت بنبي الله نوح عليه السلام دليل علىٰ حبهم له، وهذا إنما كان بحسن التربية.

⇐ وهنا فائدة وتوجيه مهم للآباء والمربين: وهو الحرص علىٰ تخلل قلوب الذرية، وتملك مشاعرهم حتىٰ يسهل استقبال النصيحة، والعمل بالتوجيه.

---

(1) تفسير الطبري (15/ 315)

⇐ وفائدة أخرىٰ للدعاة والعلماء: أهمية البدء بالأهل والذرية، فهم أولىٰ الناس بالتربية والتوجيه وغرس القيم"وأنذر عشيرتك الأقربين"، "وأمر أهلك بالصلاة".

★ **الفائدة الثانية**:"وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ"وهذا يدل علىٰ استمرارية الوعظ والنصح والتوجيه، حتىٰ ولو اختار الولد طريقًا مخالفًا وانعزل عن طريق الصواب، فلا يعني هذا التوقف عن نصحه وتربيته؛ لأن اليأس يتنافىٰ مع أصول التربية الإسلامية. فرغم إصرار الولد، إلا أن الأب -نوحًا عليه السلام- كان مستمراً في المناداة لم يتوقف عن النصح والتربية.

⇐ وهنا فائدة للآباء: وهي العزيمة والمواصلة في التربية، وعدم اليأس والقنوط، فلن يكون ابنك أشد بأسًا من ابن نوح عليه السلام، ومع ذلك استمر وواصل في دعوته، وبذل المحاولة تلو المحاولة في تربيته.

★ **الفائدة الثالثة**:"يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ" استعمال أرق وألطف وأرفق العبارات حتىٰ في شدة الحال وصعوبة الموقف.

فنبي الله نوح عليه السلام ينادي ابنه قائلاً:"يا بني" وهي عبارة جميلة تدل علىٰ رفق الأب بابنه، وتدل علىٰ تودد الأب لابنه، ولك أن تتأمل أن هذا النداء كان في حال صعب، ووقت فيه الابتلاء شديد، ومع ذلك اختار نوح أطيب وسائل النداء ليتوصل إلىٰ قلب ابنه، لعله يؤمن بالله تعالىٰ، هكذا هو المربي الناجح، يستعمل أفضل وسيلة للوصول إلىٰ المقصود.

⇦ وهنا فائدة للآباء: وهو الحرص كل الحرص علىٰ انتقاء الألفاظ الطيبة، والكلمات الرائعة عند مناداة الابن، فالعبارة التي تنادي بها ولدك هي المقدمة الناجحة التي من خلالها يستقبل كلامك وأفكارك، فجميل أن تنادي ولدك قائلاً: يا بني، يا ولدي الحبيب، يا ابني البار، يا بطل، يا شجاع...

★ **الفائدة الرابعة**: "وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ" هذا تعليل للنصيحة والتوجيه والمناداة، فبين الأب لابنه سبب النصيحة والدافع لها، وهذا أسلوب تربوي هام، وهو أن تبين سبب النصيحة، وسبب التوجيه، فبين نوح عليه السلام لابنه أن سبب النصيحة والنداء عليه هو البعد عن الكافرين، واجتناب طريقهم.

⇦ وهنا فائدة للآباء: عندما تحذر ابنك من سلوك، بين ووضح له السبب، وقل له: أنا أنصحك بكذا لأجل كذا، فذكر السبب يزيد نسبة القناعة في الاستجابة لكلامك.

فكثير من الآباء يجعل كلامه علىٰ صيغة الأوامر دون محاورة ودون بيان سبب التوجيه، وكثير منهم يبين السبب ولكن بأسلوب غير مقنع، فالمطلوب بيان السبب والدافع بأسلوب مقنع ونافع.

لقمان الحكيم والتربية الإسلامية

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ لقمان: ١٢ – ١٩.

الفوائد التربوية المستفادة من القصة:

لقد تضمنت هذه الوصايا في أسلوبها النهج النبوي السديد، والأساليب التربوية الناجحة والمسددة، ولهذا فإن من الواجب علىٰ الآباء والمربين التأمل فيها والاستفادة منها، صحيح أنها تضمنت القيم والعلم النافع، لكن الذي شد الذهن ولفت الانتباه هو الأسلوب الحكيم، الذي يجلب قلب السامع، فالدعوة والتربية أمر عظيم، ولكن سر النجاح هو الأسلوب والوسيلة:

★ **الفائدة الأولى**:"وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ"، فقد ذكرت الآية أخص صفة ينبغي أن يتحلىٰ بها المربي والأب والمعلم، وهي "الحكمة"، والحكمة لها معنىً مختصر من كلمة واحدة، قال العلماء: الحكمة تعني الصواب.

وقد عرفها العلامة ابن القيم تعريفًا فيه توجيه وإرشاد لكل مربي، فقال:(فِعْلُ مَا يَنْبَغِي، عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَنْبَغِي). (1)

فمَن رزقه الله تعالىٰ هذه الصفة الراقية، كان من الواجب عليه الشكر لله تعالىٰ، حتىٰ يبارك الله تعالىٰ له فيها، ولهذا قال: "أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ".

⇐ ولهذا قبل البدء في التربية لابد أن يتحلىٰ الأب والمربي بالحكمة؛حتىٰ يسهل قطف الثمار المطلوبة، ولهذا يعاني كثير من الآباء من صعوبة وعقوق الأبناء، فنقول له: ابحث عن سبب المشكلة، تجده غياب الحكمة قطعًا؛ لأنه غير متصور أن يعجز الأب عن تربية ابنه الطفل الصغير، فالطفل الصغير لا زال ناعم اليدين، رقيق الفؤاد، لين القلب، صافي العقل، إضافة إلىٰ ذلك كله، فإن الأب هو أحب الناس إلىٰ قلب ولده، فإذا توفرت الحكمة حتمًا وقطعًا ستكون التربية ناجحة ومميزة.

⇐ والحكمة في الاصطلاح التربوي: هي فن الأسلوب، هي مهارة الدخول إلىٰ القلب، وهي منحة ربانية، لهذا قال تعالىٰ:"وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ".

★ **الفائدة الثانية**:"وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ".

---

(1) مدارج السالكين (2/ 449)

⬅ ففي الآية فائدة تربوية قيمة: وهي البدء بالأهم فالأهم، ومراعاة الأولويات، فقد بدأت موعظة لقمان لابنه بالأهم والأولىٰ، فحذره من الشرك بالله تعالىٰ؛ لأنه الذنب الأكبر الذي لا يغفر، لأنه أكبر مفسدة في الكون، وهذا أمر مهم ينبغي مراعاته في تربية الأبناء، وهو التركيز علىٰ المهمات والأولويات، فإن تحقق المقصود منها كان ما بعدها أسهل وأيسر.

ومن المعلوم أن الأهم والأولىٰ في التعليم والتربية هو تعلم التوحيد وتعليمه، والتحذير من التنديد؛ لأن علم التوحيد هو أساس التربية، فمنه يكون المنطلق لتأسيس جيل أخلاقي فريد، فبالتوحيد تتحقق تربية الوازع لا تربية الرادع.

فالتوحيد له في الجانب التربوي آثار ومقاصد جليلة القدر، فعندما يستشعر الطالب أو الولد بأن الله تعالىٰ رقيب عليه، فإنه يتصرف بطريقة مسؤولة، وعندما يستشعر بأن الله يعلم السر وأخفىٰ، فإن تفكيره ينصرف نحو الخير، وحينما يستشعر الطالب والابن عظمة الرب تعالىٰ وعظيم سلطانه، فإنه يستجيب للأوامر ويجتنب النواهي بفهم وقناعة، وكذا فإن التوحيد يغرس في قلوب أبنائنا الشجاعة، ويذهب الجبن والخوف والتوتر والقلق، وذلك حينما يؤمن بأن الله تعالىٰ بيده الأقدار، وأنه هو الحفيظ العليم، وهذا ما حرص النبي عليه الصلاة والسلام علىٰ تعليمه، فعن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا

عَلَىٰ أَنْ يَضُـرُّوكَ بِشَـيْءٍ لَـمْ يَضُـرُّوكَ إِلَّا بِشَـيْءٍ قَـدْ كَتَبَـهُ اللهُ عَلَيْـكَ رُفِعَـتْ الْأَقْـلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ). (1)

⇐ **فتأمـل أيهـا المـربي**: كيـف يحـرص رسـولنا الكـريم علىٰ تعليـم هـذا الغـلام مبادئ وقواعـد العقيـدة والتوحيـد، فتخيـل كيـف سيكون ولـدك حينمـا يتعلـم مضـمون هذا الحديث الشريف؟

والكـلام في هـذا البـاب يطـول، ولكـن تكفـي هـذه الإشـارة كـي تفـتح لـك أيهـا المربي الباب للمزيد.

ثم قال: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" هذا بيان وتعليل للنهي، فـالمربي عنـدما يحـذر ابنه من شيء ينبغي عليه أن يبين له سبب النهي، لتظهر خطورة الشيء، فمتىٰ ظهر الخطر والضرر فإن الطالب أو الابن يتركه بقناعة تامة.

★ **الفائدة الثالثة** من قصة لقمان:"وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ".

هنا الوصية لله تعالىٰ، فقد وصىٰ اللهُ بنفسه الإنسانَ بوالديه، فلـم تكـن الوصـية هنـا للقمان، إنما لله تعالىٰ، ويستفاد من ذلك:

أولاً: علو مكانة الوالدين، وعظيم قدرهما في الإسلام.

ثانياً: أن الأب مطلوب منه أن يربي ولده علىٰ تقوىٰ الله تعالىٰ والشعور برقابته، ومن ثم فإن الولد سيكون باراً بوالديه مباشرة، فـالأب لا يقـول لولـده احترمني، وكـن بـارًا بـي، لا، إنمـا يغـرس في ولـده حـب الله تعـالىٰ والخـوف منـه، ومـن ثـم فـإن الولـد يسـتجيب لأمر الله تعالىٰ في بر الوالدين، ويجتنب العقوق الذي حذر منه القرآن الكريم.

(1) سنن الترمذي (2516) قال الترمذي: حديث حسن صحيح

وكأن القرآن الكريم يقول لنا: أيها الآباء علموا أبناءكم حقوق الله تعالىٰ، حينها تأخذون حقوقكم منهم!.

ثم قال سبحانه: "حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ" وهنا فائدة تربوية: وهي بيان سبب التفضيل للولد، فتبين له لماذا فلان يستحق التقدير؟، وتبين له إحسان المحسنين، فبين سبحانه ما بذلته الأم تجاه الولد؛ لأن هذا الأسلوب يخاطب الفؤاد والعاطفة، وكذلك يعرف الابن بفضائل الآخرين عليه، فيحسن إليهم كما أحسنوا إليه.

فعندما نعلم أبناءنا الإحسان للمعلم أو الإحسان للجد، أو الإحسان للجار، نبين لهم فضائلهم وإحسانهم إلينا، ونبين لهم فضائل الإحسان إليهم في الشرع، فنذكر لهم بعض النصوص الواردة في ذلك.

"أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ" وهذه الثمرة من بيان مكانة الأم، وهي الشكر لها والإحسان إليها، وكذلك مع الآخرين.

★ **الفائدة الرابعة**: "يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ".

"إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة من خردل يأت بها الله،أي: أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، وجازىٰ عليها، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر"[1]، فالحاصل من الآية: الإحاطة بكل شيء صغير أو كبير، وهذا هو أساس التربية كما أسلفنا، تربية الولد علىٰ خشية الله تعالىٰ، والشعور برقابته وعظمته، ففي الآية الكريمة يبين لقمان لابنه أن أي عمل سيعمله في الحياة الدنيا، فإنه يحاسب عليه يوم

(1) تفسير ابن كثير (10/ 384)

الحساب، وهذا وحده كاف في تهذيب سلوك الأبناء، وأضرب مثالاً من الواقع يتضح به سر المسألة:

★★★ طلاب المدرسة في الفصل حينما يتأخر المعلم، فإنهم يحدثون صوتًا وشغبًا في كثير من الأحيان، فإذا جاء المعلم تحسن سلوكهم، وانتهىٰ المظهر السلبي، لماذا؟ لأنهم استشعروا يقينًا رقابة المعلم!.

فإذا كان استشعار الطفل لحضور المعلم يجعله مهذبًا مستقيمًا، فكيف إذا استشعر الطالب رقابة الله تعالىٰ؟.

★ **الفائدة الخامسة**: "يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ".

⇐ تأمل: بعد أن قام لقمان بتعليم ابنه التوحيد ونهاه عن الشرك، ثم غرس في قلبه خشية الله تعالىٰ، وأن الله يحاسب الإنسان علىٰ أعماله صغيرها وكبيرها، حينها شرع بتكليفه بالأعمال الظاهرية كالصلاة، فتكون الاستجابة سريعة ومحققة؛ لأن القلب الذي تعلم الخشية من الله تعالىٰ لا يؤخر أمر الله سبحانه.

وهذا أسلوب نافع في التربية: أن نزرع المبادئ والقيم في قلوب الأبناء، حينها يسهل عليهم فعل التكاليف الشرعية، فكثير من الحالات التي فشلت تربويًا كانت بسبب إهمال غرس الخشية في قلوب الأبناء، فكان من الصعب قبول الأعمال الشرعية بالنسبة للأبناء؛ وذلك لانعدام الدافع والمرغب.

⇐ فقوله: "يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ" فيه فائدة جليلة القدر، عظيمة الأثر، وهي أسلوب الخطاب مع الأبناء، فتأمل قول لقمان: "يا بني" أسلوب حنان وتودد، أسلوب رحمة وشفقة، أسلوب يجسد معنىٰ الحب بين الوالد وولده، فما أحوجنا إلىٰ هذا الأمر.

⇐ أيها الأب، **أيها المربي**، جدد الأساليب، جدد الألقاب، اختر أجمل العبارات وأحسن الكلمات للنداء علىٰ ولدك، تفنن في اختيار الألقاب التي ترفع من مقامه وتزيد الحب بينك وبينه، اجعله يشعر بأنه إنسان له قيمة، اجعله يشعر بأنه إنسان مميز، حينها سيكون لك ولدك كما تريد، إذا أردت أن يكون ولدك لك مطيعًا، فأحسن طريقتك في النداء عليه.

لقمان قال لابنه: يا بني، وهذا جميل، والآن جاء دورك كي تختار وتبدع في الألقاب، فقل لولدك: يا بطل، يا شجاع، يا دكتور، يا قائد، يا حبيبي، يا أحب الأبناء إلي... حينها تكون أنت الأب الناجح، والمربي المثالي.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ؛ فَحَسِّنُوا أَسْمَاءَكُمْ). [1]

وقد ذكرنا قصة عمر مع الشاب الذي شكا أبوه عقوقه، فذكر أنه سماه جعلًا، فجعل عمر ذلك سببًا في كون الأب عق ولده قبل أن يعقه.

ثم قال **لقمان**: "أقم الصلاة" فكان الطلب بكلمة تدل علىٰ كمال المعنىٰ، ففرق بين أداء الصلاة وإقامة الصلاة، فإقامة الصلاة يعني: أي تأديتها بحدودها وفروضها وأوقاتها وخشوعها.

وفي ذلك إشارة: وهي أن الطلب من الطفل يكون بكلمة دالة علىٰ كمال المعنىٰ، ويستفاد أيضًا: الإيجاز في الموعظة.

ثم قال لقمان لابنه: "وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ".

---

(1) صحيح ابن حبان (5788)

⇦ وهنا فائدة تربوية: وهي الارتقاء بفكر الولد،وإرشاده إلىٰ معالي الأمور، وتحميله المسؤولية التي أرسل لأجلها الأنبياء -عليهم السلام-، فلم يكتف لقمان بأن يقيم ولده الصلاة فحسب، بل يريد من ولده أن يكون مربيًا وداعيًا، وقائداً، وعلمًا، وعالمًا، هكذا هو المربي الناجح، يرتقي بفكر أبنائه، فيجعل أنظارهم نحو معالي الأمور وعظائمها.

عملاً بالحديث النبوي:(إن الله تعالىٰ يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها). (1)

ثم قال **لقمان**: "وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"، وهذا أسلوب تربوي رائع وفي غاية الحكمة، وهي تهيئة الولد والطالب للأحداث التي قد تقع، وتهيئة الولد للتغيرات التي قد تواجهه، فلما كان من المتوقع لحوق الأذىٰ بالداعي والمصلح، قال لقمان لابنه: "وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ" حتىٰ لا يتفاجأ من بعض المواقف أثناء دعوته الناس إلىٰ المعروف، وهذا أمر ينبغي علىٰ المربي الاهتمام به، وهو تهيئة ابنه للظروف التي قد تطرأ عليه؛ حتىٰ يتعامل مع الموقف بحكمة ورزانة.

وقد هيأ القرآن الكريم رسولنا عليه السلام بما يلقاه من قومه فقال له: (وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا) المزمل: ١٠.

★ **الفائدة السادسة**: "وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ".

---

(1) صحيح الجامع الصغير (1890)

بعد بيان حق الله تعالىٰ وهو التوحيد، وغرس الخشية في قلب الابن، والوصية بالوالدين خيراً، والأمر بالصلاة، جاء دور الأخلاق والمعاملات، فوضع لقمان لابنه قواعد التعامل مع الناس، وهذا من حكمة المربي، أن تكون تربيته شمولية، فيرشد ولده وينصحه في كل المجالات النافعة له في الدين والدنيا.

كذلك فإن لقمان بدأ هنا بجوهر الصفات ولب الأخلاق، وهو التواضع، وقد عبر عنه بصيغة النهي والتنفير فقال: "ولا تصعر خدك للناس وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا"؛ لأن هذا الفعل تنفر منه النفوس، وتبغضه القلوب، ويستفاد من ذلك: أن الأب يوجه ابنه ويرشده في باب الأخلاق بأسلوب يظهر فيه شناعة الخلق الذميم، كي تنفر منه النفس، فمن الحكمة والوسائل التربوية الناجحة أن يعظ الأب ابنه في باب الأخلاق، باختيار العبارة التي تظهر شناعة الخلق الذميم، بأسلوب تمثيلي من الواقع، فقول لقمان: "ولا تصعر خدك" هذا فعل يحصل في الواقع، ويشاهده الناس، وهذا أمر ينبغي مراعاته، وهو أن نحدث الطفل والطالب بما يعقل وبما يستوعب، فنخاطبه بأقوال وأمثلة يعرفها، وتكون أقرب لواقعه، كي يحصل المقصود من النصيحة.

وفي الحقيقة: فإن أسلوب النصيحة والتربية بالتمثيل علىٰ السلوك هو أسلوب من الأهمية والجمال بمكان، فقولك لابنك: "لا تمش مرحـًا" أبلغ من قولك لابنك: "لا تتكبر"؛ لأن ذكر الفعل أبلغ في الذم وأسرع في الاستجابة، هذا من جهة.

من جهة أخرىٰ: ذكر السلوك بالتمثيل والبيان أنجح وأحسن؛ لأن الطفل ربما لا يستطيع فهم المراد من قولنا: "لا تتكبر" أما قولنا: "ولا تصعر خدك للناس" فهي واضحة له، فيستفاد من ذلك ضرورة الوضوح في النصيحة، كي يحصل المراد.

ثم قال لقمان لابنه: "وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ".

⇐ يستفاد هنا: الإرشاد للبديل النافع، فقد حذر لقمان ابنه من التكبر، ثم أرشده للبديل، وهو القصد في المشي، وهذه قاعدة تربوية مهمة: وهي التخلية ثم التحلية، فيتخلىٰ الطفل عن السلوك السلبي، ثم يتحلىٰ بالسلوك الإيجابي.

فمن الأخطاء الشائعة الاكتفاء بالتحذير والنهي، وهذا لا يكفي، فالواجب هو التحذير من الشر، والإرشاد للخير، كما قال سبحانه: "يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"، وكذلك كان هدي النبي ﷺ ومن أمثلة ذلك: أن رجلاً قال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله ﷺ: "أجعلتني مع الله ندًا؟!، لا، بل ما شاء الله وحده، وفي رواية: ولكن قل: ما شاء الله ثم شئت". (1)

فنهاه ثم أرشده إلىٰ فعل الصواب.

★ **الفائدة السابعة**: ضرورة الجلوس مع الابن، والتفرغ لتربيته ونصحه، فلقمان أعطىٰ ولده وقتًا للتربية والوعظ، وهذا ما يجب علىٰ الآباء الانشغال بالأبناء، فإن"العلم بالتعلم والحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه"(2)، فالواجب جعل تربية الأبناء والجلوس معهم من الأولويات، فهي أولىٰ من العمل والتكسب، جاء في الحديث: (إن أولادكم من أطيب كسبكم). (3)

⇐ فالحاصل من أسلوب لقمان الحكيم: هو نجاحه في تحقيق الجذب للسلوك الحسن، والتنفير من السلوك السيء.

---

(1) السلسلة الصحيحة (1093)

(2) السلسلة الصحيحة (342)

(3) صحيح الجامع الصغير (1487)

قصة يعقوب عليه السلام مع أبنائه

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ يوسف: ٤ – ١٨.

الفوائد التربوية من قصة يعقوب عليه السلام:

لقد جسدت حكاية نبي الله يعقوب عليه السلام مع أبنائه دور الأب الصبور الحكيم، الذي يتعامل مع الأحداث السلبية بشكل إيجابي، فالمنهج التربوي الذي قام به نبي الله يعقوب عليه السلام هو منهج راقٍ، لا يدركه إلا أولو العزم من التربويين والمربين.

فالتميز والإبداع في قصة يعقوب عليه السلام، أنه لم يكن في موقف عادي أو طبيعي، إنما كان في موقف أزمة وابتلاء مع أبنائه، وههنا يظهر الفرق بين قصة لقمان وقصة يعقوب عليه السلام، فالأولى كانت عبارة عن دور الأب في التوجيه والإرشاد دون صدور تصرفات مزعجة أو سلبية من الابن، فكان دور لقمان أنه معلم ومرشد، أما دور يعقوب عليه السلام فكان دور الطبيب المعالج من الأمراض الخطيرة، فيظهر السلوك السلبي والخطير من الأبناء، ويعقوب يعالجه بحكمة وصبر ورفق ورحمة، وأهم من كل هذا الثقة بالله والتوكل عليه في مسيرة التربية.

وينبغي على الأب والمربي أن يتحلى بالوصفين (وصف المرشد، ووصف الطبيب).

وقبل البدء بذكر الفوائد فإنني أطلب منك أيها المربي **التأمل** في بداية القصة، حيث إن الطفل يقص على أبيه رؤية، وهذا يدل على جمال وروعة العلاقة بين الأب وابنه، يدل على الصلة القلبية الوثيقة بينهما، فالابن يحدث أباه بكل شيء حتى الرؤيا، وما كان هذا ليكون لولا سعة صدر الأب، وعمق المحبة التي يبذلها لولده، في حين أن كثيراً من الآباء يبذل جهده ليستنطق ابنه في أمر معين فلا يجيبه ولا ينطق بكلمة.

★ **أيها الأب**: كن كيعقوب في الأبوة، يكن ولدك كيوسف في البنوة -عليهما السلام-.

★ **الفائدة الأولى**: (قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ)، هنا تتجلى قاعدة تربوية نافعة، وهي:

(الوقاية خير من العلاج)، فلما كان من المتوقع حدوث فتنة وشر من حكاية الرؤيا، أرشد يعقوب عليه السلام ابنه إلىٰ السكوت، خشية وقوع الشر والكيد المذموم.

⇐ وهذا أسلوب ينبغي علىٰ المربي العمل به، وهو التفطن بالشر ودرؤه قبل وقوعه؛لأن دفع الشر أسهل وأيسر من رفعه، فدفعه حتىٰ لا يقع، أيسر من رفعه إذا وقع.

ثم بين يعقوب عليه السلام لابنه الدافع علىٰ السكوت فقال:"فيكيدوا لك كيدًا إن الشيطان للإنسان عدو مبين".

لماذا قال نبي الله يعقوب عليه السلام ذلك؟

إنما قال ذلك لأنه كان متيقنًا حدوث الشر، لأنه قد ظهر منهم الحسد والكيد دون حكاية الرؤيا[(1)]، وليس المراد هو التفريق بين الأخوة، إنما القصد هو عدم التفريق بينهم بحدوث المزيد من الحسد والكيد.

⇐ وهنا فائدة تربوية: مراعاة المربي لنفسية الأبناء، وكتمان ما يزعجهم، حفاظًا علىٰ استمرارية المحبة وروح الأخوة، كما يستفاد أنه ينبغي علىٰ المربي أن يبين لابنه المميز والمتألق بعض الصفات السلبية عند إخوانه، كي يحسن التصرف معهم، وكي يختار الأسلوب المناسب لطبيعة تفكيرهم، وهذا نوع من العلاج؛ لأن تسكين السلوك الذميم والحرص علىٰ إخماده هو مقدمة العلاج.

قوله: "إن الشيطان للإنسان عدو مبين"، تذكيراً لابنه حتىٰ يحمي إخوانه من شر الشيطان، فيكونون جميعًا صفًا واحداً ضده، وفي هذه الجملة إشارة إلىٰ أن يحسن الظن بإخوانه، فإن الذي يغوي ويضل هو الشيطان، وهذا الذي تعلمه يوسف عليه السلام في الصغر حكاه في الكبر، وجعل سبب التفرق

(1) تفسير الطبري (15/ 558)

والكيد هو الشيطان، فقال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُ﴾ يوسف: ١٠٠، فالكلمة والموعظة في الصغر، أصبحت واقعًا في الكبر.

⇐ **أيها المربي**: إذا كنت تحب أحد أبنائك أكثر، فراعِ نفسية البقية، ولا تظهر هذا أمام الأبناء خشية المفسدة المتوقعة، فالحكمة أن تجعلهم جميعًا مقربين إلىٰ قلبك، فإن كان لابد من تمييز أحد الأبناء، فالحكمة هو أن تجعله بصفاته مميزاً عند سائر إخوانه، مثل أن ترشده إلىٰ جلب الهدايا لإخوانه، مثل أن ترشده إلىٰ تقبيل إخوانه، فعندما يرىٰ إخوته هذا السلوك الجميل منه، حينها يصبح مميزاً في قلوبهم، فيكون الأمر عندهم من الطبيعي والعادي، فيقتدون به، ويقلدونه، فأنت بذلك تكون قد حققت هدفًا تربويًا رائعًا، وهو الرقي بجميع الأبناء إلىٰ السلوك المميز، والأفعال الجميلة.

⇐ **وتأمل** حِكمة النبي ﷺ في التعامل مع رعيته: فعن سعد بن أبي وقاص قال: أعطىٰ رسول الله ﷺ رهطًا وأنا جالس فترك رسول الله ﷺ منهم رجلًا وهو أعجبهم إلي، فقمت فقلت: ما لك عن فلان؟ والله إني لأراه مؤمنًا فقال رسول الله ﷺ: «أو مسلمًا» ذكر سعد ثلاثًا وأجابه بمثل ذلك، ثم قال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي»[(1)]، إن إعطاء النبي ﷺ المؤلفة قلوبهم هو أمر في غاية الحكمة، والسياسة التربوية الرشيدة في جذب القلوب، وكسب المحبة الموصلة للطاعة والإصلاح، فإن العطاء بريد المحبة.

★ **الفائدة الثانية**:"وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك".

(1) صحيح البخاري (27)

وفيه بعث الأمل والتفاؤل، وغرس الثقة في نفس الابن، ورسم جمال المستقبل، صحيح قد قال يعقوب عليه السلام لابنه: لا تحكي الرؤيا، لكنه بعث التفاؤل في قلبه ومستقبله، فربما كانت نفس الابن تتوق للحديث برؤياه، ولكن لما قال له أبوه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ رسم له هدفًا أكبر، وجائزة وتحفيزاً غير متوقع بالنسبة للابن، حينها كان من السهل أن يكتم خبر الرؤيا.

فيستفاد من ذلك: أن الأب كي يطاع في أمره ونهيه، عليه أن يعوض نفسية ابنه، فيملأ نفسه وقلبه بما يعوضه عن هذا الشيء الذي تركه.

⇦ **فتأمل**: نبي الله يعقوب عليه السلام طلب من ابنه السكوت عن خبر الرؤيا، في مقابل ذلك قال له: إن الله سيختارك ويصطفيك ويعلمك علمًا يفسر أحاديث الناس، وما يرونه في منامهم فتكون إمامًا في هذا الأمر. (1)

فكثير من الآباء يعاني من صحبة السوء بالنسبة لأبنائهم، فيكون الحل عندهم: لا تصاحب فلانًا، لا تجلس مع فلان، فيتعب الأب وهو يكرر هذه العبارة، لماذا؟ لأنه لم يعوض ابنه عن هذا الصاحب، لأنه لم يملأ فراغه بما يحب في هذا الباب.

فمثلاً: لو قلت لابنك هذا الصاحب لا تجلس معه لأن فيه صفة كذا وكذا، وأنت مقامك أسمىٰ وأعلىٰ، أنت مقامك أن تجلس مع فلان المتميز، ومع فلان المهذب، أنت مقامك أن تجلس مع أصحابي وأصدقائي، فتأخذه معك في زيارتك لصديقك، فيجلس مع الكبار وأهل الفهم، فيقتبس من صفاتهم، حينها وبكل سهولة سينسىٰ صاحبه السيء، المهم أن تشغل وقته بالبديل عن الشيء الذي يتركه.

---

(1) تفسير الطبري (15/ 560)

الحاصل هنا قاعدة تربوية وهي: "الأمر بالترك يلزم منه إيجاد البديل"، وفي هذا المقام أتذكر قول الحسن البصري: نفسك إن لم تشغلها بالحق، أشغلتك بالباطل.

★ **الفائدة الثالثة**: (إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ).

إخوة يوسف عليه السلام يستنكرون تفضيل يوسف وأخيه (بنيامين) عليهم فيقولون: "كيف يفضلهما علينا بالمحبة والشفقة، (إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)، أي: لفي خطأ بيِّن، حيث فضلهما علينا من غير موجب نراه، ولا أمر نشاهده"[1]، هذا الحسد جعلهم يكيدون بيوسف عليه السلام فقالوا: (ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا) أي: غيبوه عن أبيه في أرض بعيدة لا يتمكن من رؤيته فيها.

فإنكم إذا فعلتم أحد هذين الأمرين (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) أي: يتفرغ لكم، ويقبل عليكم بالشفقة والمحبة، فإنه قد اشتغل قلبه بيوسف شغلًا لا يتفرغ لكم، (وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ) أي: من بعد هذا الصنيع (قَوْمًا صَٰلِحِينَ) أي: تتوبون إلىٰ الله، وتستغفرون من بعد ذنبكم".[2]

⇐ يستفاد من هذا: الحكمة البالغة في كيفية المساواة بين الأبناء في الحب والعلاقة، ومراعاة نفسية كل ابن؛ حتىٰ لا يتسرب بينهم الكيد والحسد، فتأمل ماذا صنع الحسد بيوسف وإخوته.

---

(1) تفسير السعدي (1/ 394)

(2) المصدر السابق .

أيها الأب، أيها المربي، لا تجعل عبارة (أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا) تكون علىٰ ألسنة أبنائك؛ لأن الحسد هو الذي يدفع إلىٰ قول: (ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا).

قصة واقعية مؤثرة:

كان عند رجل مجموعة من الأبناء، ولكنه يميز أحد أبنائه بشكل كبير، مما جعل بقية الأبناء يكرهون أخاهم بدرجة تصل للحقد، ومن أشنع صور التمييز لهذا الابن أن الأب يعطيه نفقة ومالاً بشكل كبير، في حين أن البقية يشتكون من قلة النفقة، وذات يوم قام أحد الأبناء بجريمة السرقة من محل تجاري، واعتدىٰ علىٰ صاحب المال، وتم التعرف علىٰ شخصيته، وعند التحقيق مع هذا الابن الجاني، يسأله أحد أقاربه لماذا فعلت ذلك؟

فأجاب قائلاً: فعلت ذلك انتقامـًا من أبي، وحتىٰ يلتفت إلينا أبي، ويعلم أننا بحاجة إلىٰ الرعاية !!!

★ **الفائدة الرابعة**:"قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا علىٰ يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدًا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون".

يستفاد من هذا سماحة الأب مع الأبناء، وتوفير استراحة لهم يلعبون فيها، وينشطون من خلالها، مع كون يعقوب عليه السلام نبيـًا ووليـًا إلا أنه جعل لأبنائه فسحة من اللعب والاستراحة، يجددون فيها نشاطهم، فالسماح باللعب للطفل هو أسلوب من أساليب التربية، ولكن كيف نغتنم هذا اللعب بطريقة إيجابية ونافعة؟.

حتىٰ يكون اللعب إيجابيـًا بالنسبة للطفل، فينبغي مراعاة أمور ثلاثة:

الأول: أن يكون اللعب تعزيزاً وتحفيزاً علىٰ إنجاز قام به الطفل، ولا يكون هكذا عبثـًا دون مقابل.

فمثلاً: تقول لابنك: إذا ساعدت أمك فلك أن تلعب بكذا وكذا.

أو تقول له: إذا اجتهدت في المدرسة فلك أن تفعل كذا.

الثاني: أن يكون اللعب ذا مقصد وهدف إيجابي.

مثل السباحة: فهو أمر نافع من حيث تقوية الجسد، ومثل السباق: فهو نافع من حيث تقوية الجسد وتفعيل المنافسة والتحدي الإيجابي، ويعلم التحمل والصبر، ومثل الرماية وركوب الخيل، فإنه يشعر الابن بمكانته الإسلامية، وبطولته، وحبه للجهاد في سبيل الله تعالىٰ.

الثالث: أن يلعب مع صحبة أمينة تحب له الخير وتدفع عنه الشر، حتىٰ لا يُلحقون به الأذىٰ كما حصل مع يوسف عليه السلام، وهذا ما فعله يعقوب عليه السلام في بداية الأمر، ولكنهم أصروا علىٰ أخذه فقالوا: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾. وهذا يدل علىٰ أن يعقوب عليه السلام لا يترك يوسف يذهب مع إخوته للبرية ونحوها. فلما نفوا عن أنفسهم التهمة المانعة من عدم إرساله معهم، ذكروا له من مصلحة يوسف وأنسه الذي يحبه أبوه له، ما يقتضي أن يسمح بإرساله معهم، فقالوا: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾ أي: يتنزه في البرية ويستأنس، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ أي: سنراعيه ونحفظه من أذىٰ يريده، فلما مهدوا لأبيهم الأسباب الداعية لإرساله، وعدم الموانع، سمح حينئذ بإرساله معهم لأجل أنسه". (1)

★ **الفائدة الخامسة**: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

(1) تفسير السعدي (1/ 394)

فيه الخوف علىٰ الطفل الصغير من الذهاب إلىٰ أماكن يتوقع منها الضرر عليه، وفي ذلك قيمة تربوية: عندما يراك طفلك تحرص علىٰ عدم مفارقته حبًا فيه، وخوفًا عليه، حينها تكون قد امتلكت قلبه حبًا وانتماء، وهذا الذي ينبغي علىٰ المربي إظهاره لطفله الصغير دائمًا، كي يشعر بالحنان والحب وصدق الانتماء.

فقوله: (لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ) أي أكره مفارقته، وأحب ملازمته، وقوله: (وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ) وأخشىٰ أن يصيبه الأذىٰ والضرر، هكذا يجب أن تكون أيها المربي.

★ **الفائدة السادسة**: (وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ).

⇐ في ذلك فائدة تربوية: وهي عدم إلقاء التهمة السلبية علىٰ الولد، فيعقوب عليه السلام مع علمه بأنهم يكذبون، إلا أنه لم يصرح لهم بأنهم كذابون، وهذه قمة الحكمة في الأساليب التربوية، وهي عدم مواجهة الولد بصفاته السلبية، وإنما المقصود الحكمة والحنكة في كيفية التخلص منها، دون جرح لمشاعره، أو إعدام لأحاسيسه.

كل هذا الذي فعلوه ولم يواجه يعقوب عليه السلام أبناءه بالتكذيب أو التخوين -ما أعظمه من مرب- إلىٰ حين أن أظهروا القميص وعليه دم دون خرق أو تمزيق للقميص، حينها قال يعقوب عليه السلام عبارة أيضًا ليس فيها تجريح أو تخوين أو مواجهة صريحة قال:

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، أخرج الطبري بإسناده عن الحسن، قال: (لما جاء إخوة يوسف بقميصه إلىٰ أبيهم، قال: جعل يقلبه، فيقول: ما عهدت الذئب حليمًا؟ أكل ابني، وأبقىٰ علىٰ قميصه!)، أي إنه من المحال أن يأكله الذئب ويبقىٰ قميصه سالمـًا دون خرق.

⇐ فتأمل عبارة نبي الله يعقوب عليه السلام: إنها بالغة الحكمة والصبر، تأمل كيف أنه لا يضع ولده موضع التهمة الخطيرة خشية الآثار السلبية المترتبة علىٰ هذا الصنيع؟! لم يضع أبناءه موضع التهمة -بشكل صريح- مع وجود المبرر لذلك! إنما تكلم بكلمات لو تأملنا الحدث والجريمة ثم تأملنا كلمات يعقوب عليه السلام نجد أنه في غاية الرفق والحكمة والرحمة في تربية الأبناء، والتعامل مع الأخطاء بشكل إيجابي ودقيق.

عند وقوع الخطأ فالرجل الحكيم يتأمل ويسأل نفسه، كيف تتم معالجة هذا الخطأ دون ضرر؟.

⇐ **أيها المربي**: إن الإكثار من توبيخ الولد عند الخطأ، وإلصاق الصفات السلبية فيه مثل: يا كاذب يا راسب، يا عاق..إلخ، هذا يجعله يعتاد ويألف هذه الصفات لكثرة ما يسمعها، وربما تكون عنده بنسبة ضئيلة، ولكن لكثرة رميه بها تصبح عنده طبعـًا وعادة. إضافة إلىٰ ذلك: فهذا أسلوب يدمر نفسيته، ويحطم شخصيته، ويفقده الثقة.

★ تأسّ بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الخطأ عندما قال: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟ فَوَاللهِ! إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بالله، وأشدهم له خشية". [1]

(1) صحيح الأدب المفرد (338)

★ تأسّ بالنبي محمد ﷺ في التعامل مع الخطأ حين رأىٰ الأعرابي يبول في المسجد، فرفق به وعلمه برفق ورحمة دون أن يتهمه بتلويث المسجد أو تنجيسه، إنما حقق المقصود بأسلوب تربوي حكيم ولطيف دون إزعاج أو توبيخ، فلماذا لا نكون كذلك؟!

ثم قال: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ) وفي ذلك إرشاد للمربي بأن يستعين بالله دائمـًا، ويصبر حتىٰ يأذن الله تعالىٰ بتحقق المراد، والمراد هو أن يكون الأبناء قرة عين.

وفي ذلك إشارة إلىٰ أن التعامل مع الأبناء وتربيتهم فيها تعب وجهد؛ لأن الصبر لا يكون إلا فيما يثقل علىٰ النفس، فمن أخص صفات المربي أنه صبور حليم.

ولهذا فقد ضرب نبي الله يعقوب عليه السلام أسمىٰ الأمثلة للصبر والثبات في تربية الأبناء، فبقي مستمراً علىٰ نهج التربية بوسائلها الحكيمة إلىٰ حين الموت، قال الله تعالىٰ (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ) البقرة: ١٣٣.

⇐ **فتأمل** كيف يستمر في التربية حتىٰ حضور الموت،ويستفاد من ذلك المواصلة في التربية وعدم الانقطاع حتىٰ في أشد الظروف!!!

⇐ **أيها المربي**، لا تنشغل عن تربية أبنائك مهما كانت الأسباب، واصل وصابر حتىٰ ترىٰ ولدك في الوصف مميزًا ونادرًا.

وكابدوا المجد حتىٰ مل أكثرهم *** وعانق المجد من أوفىٰ ومن صبرا

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله *** لن تبلغ المجد حتىٰ تلعق الصبرا

الفصل الرابع:

الأساليب النبوية في تربية الأبناء والذرية، وفيه مطالب ستة:

المطلب الأول: التربية بالحب.

المطلب الثاني: التربية بالرفق والرحمة.

المطلب الثالث: التربية بالقدوة الحسنة.

المطلب الرابع: التربية بالمدح والثناء.

المطلب الخامس: التربية بالمناقشة والحوار.

المطلب السادس: وسائل تربوية أخرى.

التربية بالحب

إن من أعظم الأساليب النبوية التربوية أسلوب التربية بالحب، فحينما يعلم الولد أو الطالب أنك تحبه بصدق فإنه سيتفاعل معك، ويستجيب لك دون تردد أو مراوغة؛ ذلك لأن تملك القلوب هو سر نجاح المربي، فمتىٰ سيطر المربي علىٰ قلب ولده، تحققت له الأهداف بيسر وسهولة؛ لأن من أحب شخصاً أطاعه وحرص علىٰ تنفيذ أوامره، فالمحب لمن يحب مطيع.

فالتربية بالحب منهج إسلامي راقٍ، لكنه نادر التطبيق من جهة المربين، فما الذي يمنع أن تحب ولدك بأساليب جديدة وراقية؟، يظهر فيها التفاعل والحيوية وصدق الانتماء، يظهر فيها أنكما روح في جسدين، أنكما نبض واحد في قلبين!.

أهم مظاهر التربية بالحب:

1 – الابتسامة الحارة لولدك كلما تراه.

2 – معانقة ولدك بحرارة وتفاعل كلما تراه.

3 – تقبيل ولدك قبلة الشوق كلما تراه.

4 – إخباره بأنك تحبه حباً شديداً كلما تراه.

5 – الاهتمام به أثناء وجوده، للمحافظة علىٰ استمرارية التفاعل.

نعم: كلما تراه حتىٰ نعوض التقصير عبر الزمن الماضي، وحتىٰ نسد الفراغ الموجود في قلب الطفل، وحتىٰ نتغلب علىٰ الصعاب التي يعيشها الطفل.

⇦ **أيها المربي**، حينما تقوم بهذه الأشياء، تيقن أن ولدك سيكون لك كما تريد، تيقن أن ولدك سيكون لك قرة عين، تيقن أنه سيأخذ بتوجيهاتك ونصائحك، سيحرص حينها علىٰ تلبية أمرك، واجتناب نهيك.

قف وتأمل:

فعن عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ، فَنَزَلَ فَأَخَذَهُمَا، فَصَعِدَ بِهِمَا الْمِنْبَرَ، ثُمَّ قَالَ: "صَدَقَ اللهُ: "إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ"، رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ" وفي رواية: "فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّىٰ قَطَعْتُ كَلَامِي فَحَمَلْتُهُمَا"). (1)

⇐ تأمل **أيها المربي**، تأمل إلىٰ أين وصلت حدود الحب بين المربي والطفل؟!

تأمل: فالنبي ﷺ في عبادة جليلة، وخطبة في المكان المبارك، وأمام عامة المسلمين، وحينما رأىٰ الطفلين نزل عن المنبر كي يعانقهما، وقال للحضور: "رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ" الله أكبر، ما أروعه من حب، وما أجمله من قلب..!

وإذا كان هذا في المسجد، وفي وقت الخطبة، فكيف كان يعامل الأطفال في البيت؟!

⇐ وإياك أن تظن هذا خارجًا عن أمر الخطبة، بل هو جزء منها، فهو جزء عملي ليشاهد الحضور كيفية الرحمة بالأبناء..!

نعم، هو جزء من الخطبة والموعظة الحسنة بدليل أننا نتحدث عن هذه القصة ونستفيد منها الفوائد..!

نعم، هي الجزء المهم في الخطبة؛ لأن الراوي لم يتحدث إلا عن هذا الجزء منها، وهو التطبيق العملي للتربية..!

---

(1) سنن أبي داود (1109)، قال الألباني: صحيح .

ملاطفة الولد ومداعبته علامة حبه:

عَنْ الفاروق **عمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** رضي الله عنه قَالَ: (رَأَيْتُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَىٰ عَاتِقَي النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: نِعْمَ الْفَرَسُ تَحْتَكُمَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "وَنِعْمَ الْفَارِسَانِ هُمَا"). (1)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:(كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُدْلِعُ لِسَانَهُ لِلْحُسَيْنِ، فَيَرَىٰ الصَّبِيُّ حُمْرَةَ لِسَانِهِ، فَيَهَشُّ إِلَيْهِ). (2)

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ -حينما رأىٰ رجلاً ينكث بقضيب في فم الحسين عند موته-:(لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُقَبِّلُ مَوْضِعَ قَضِيبِكَ مِنْ فِيهِ)، (3) أي إنه كان يقبله من فمه صلى الله عليه وسلم.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَصُفُّ عَبْدَ اللهِ، وَعُبَيْدَ اللهِ، وَكُثَيِّرًا بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ يَقُولُ: (مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا" قَالَ: فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقَعُونَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ، فَيُقَبِّلُهُمْ وَيَلْتَزِمُهُمْ). (4)

وعَنْ كَثِيرِ بْنِ الْعَبَّاسِ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَجْمَعُنَا، أَنَا وَعَبْدُ اللهِ، وَعُبَيْدُ اللهِ، وَقُثَمُ، فَيُفَرِّجُ يَدَيْهِ هَكَذَا، فَيَمُدُّ بَاعَهُ، وَيَقُولُ: «مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا»). (5)

وعن سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: («ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلاَنٍ» قَالَ:

---

(1) مجمع الزوائد (15078)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح .

(2) صحيح ابن حبان (5596)

(3) المعجم الكبير (2878)

(4) مسند أحمد (1836)، قال الهيثمي: إسناده حسن .

(5) المعجم الكبير (423)

فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ؟»، قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»).[1]

⇐ فتأمل أيها المربي: "مداعبة"، "ملاطفة"، "تقبيل"، "معانقة"، "ابتسامة"، "ممازحة"، "مصاحبة"، كل هذه الأشياء تَصدر من رسولنا ومعلمنا محمد ﷺ.

⇐ ولك أن تتأمل أيها المربي: أن الرسول ﷺ قائم بوظائف عظمىٰ وعديدة (فهو الإمام والقاضي والمفتي والمجاهد والمصلح وهو المبلغ عن ربه، وهو صاحب الأسرة الكبيرة فله من الزوجات إحدىٰ عشرة) ومع هذا فقد أعطىٰ الأطفال أسمىٰ الأوصاف والأفعال الدالة علىٰ الحب والانتماء !!!

(أثناء المداعبة والملاطفة ينبغي النزول إلى مستوى الطفل ومخاطبته بأسلوب يناسبه)

مداعبة الطفل يستلزم منها النزول إلىٰ مستواه ومخاطبته بطريقة تناسب عقله، وهذا أمر إيجابي، كي تستطيع إدخال السرور عليه؛لأن عقله يدرك أموراً معينة هي التي تفرحه وتسعده.

وتأمل الأسلوب النبوي في قصة أم المؤمنين عائشة :

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ قَالَتْ: (فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَىٰ رِجْلَيَّ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ: «هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ»)[2]، وفي رواية:(فسابقته فسبقني فجعل يضحك وقال:"هذه بتلك السبقة").

---

(1) صحيح البخاري (2899)

(2) سنن أبي داود (2578)، صحيح الجامع الصغير (2344)

قال الحافظ ابن كثير: [كان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك] (1)

كلمة (أحبك) مفتاح الاستجابة والطاعة:

أروع أساليب التوجيه والتعليم، هي تلك التي تبدأ بمقدمة المحبة وتفاعل المشاعر، فقبل أن تقوم بالتوجيه والتعليم لولدك ينبغي أن تجعل مقدمة محبة ومودة قبل هذه الخطوة؛ لأن هذه المقدمة تعطي نتيجة مسددة وناجحة، وقد قيل قديماً: المقدمة الناجحة يتولد منها نتيجة ناجحة، وهذا الأمر -البدء بمقدمة الحب قبل التعليم والتوجيه- هو من أساليب المعلم والمربي الأول ﷺ.

النبي المعلم ﷺ يقول لمعاذ بن جبل إني لأحبك ثم يرشده ويعلمه:

فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ صَلَّىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: («يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: "أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"، وَأَوْصَىٰ بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ). (2)

⇐ **تأمل** قول النبي ﷺ: "وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ"، فقبل أن يوصيه أخبره بأنه يحبه، واستخدم أساليب التوكيد والتأكيد"فأقسم له" وقال: "إني"، ثم"لام التوكيد"، كلها أساليب للتأكيد؛ ليتملك قلب المتعلم والمنصوح.

(1) تفسير ابن كثير (2/ 242)

(2) سنن أبي داود (1522)، صحيح الجامع الصغير (7969)

⇐ **تأمـل** قولـه ﷺ: "أوصـيك" ولـم يقـل: "آمـرك"، فكلمـة أوصـيك أقـرب إلىٰ القلب، ويظهر فيها معنىٰ التودد والمحبة، فاختار أطيب الكلمات وأكثرها تأثيراً كي تُقبل النصيحة.

ولأن النصيحة كانت وفق أسلوب ناجح ومسدد،فقد أصبحت النصيحة واقعـًا عمليًا في حياة معاذ رضي الله عنه، فلم يترك هذا الدعاء ألبتة كما ثبت في الآثار، بل إنه ينقله ويعلمه الناس كما في الحديث السابق"وَأَوْصَىٰ بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ".

فالأسلوب له أثر جميل وكبير علىٰ نفس المتعلم والطفل، ويكفيك أن تتأمل قصة معاذ وكيف أنه أصبح يعلم ما تعلمه، فالأمر لم يقف إلىٰ حد صلاح المتعلم، بل تعداه إلىٰ أن يكون المتعلم مصلحـًا، هذه هي نتيجة المحبة المتبادلة بين المعلم والمتعلم، بين الأب وابنه.

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي فَلَا تَأَمَّرَنَّ عَلَىٰ اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ). (1)

★ إنه أسلوب تربوي قيم ورفيع، أن تخبر المنصوح بأنك تحب له الخير، ولأنك تحب له الخير تنصحه وتعلمه، حينها سيكون صدره منشرحـًا، وعقله متفتحـًا.

وقد استجاب أبو ذر رضي الله عنه للنصيحة، وعمل بها طوال حياته، فالوصية كانت لحظة، ولكن بجمالها استمر أثرها دهراً وعمراً.

(1) صحيح الجامع الصغير (7823)

ابتسامة الحب للأطفال:

ابتسامتك لولدك عنوان محبتك، فإذا أردت أن يكون لقاؤك ناجحًا مع أولادك فاجعل مقدمته ابتسامة جميلة ومعبرة، فالابتسامة هي كلمة مؤثرة بغير حروف، الابتسامة كلمة طيبة هادفة دون صوت.

⇐ **أيها المربي**، عندما تبتسم لأولادك كلما تلقاهم، هذا يمثل قمة المحبة والانتماء والتفاعل الصادق، كأنك تقول لهم: أنتم سعادتي، أنتم فرحتي، أنتم ذهاب همي، أنتم جلاء حزني.

⇐ **أيها المربي**، لا تجعل ضغوط الحياة وهموم الأشغال وكدر الأخبار يسلب منك الابتسامة لأطفالك، لا تجعل الطفل يدفع فاتورة الهموم التي تمر بها أنت فتحرمه الابتسامة التي ينتظرها منك !!!

⇐ **أيها المربي**: أعط كل ذي حق حقه كما أوصاك نبيك عليه الصلاة والسلام، فإذا أصبت بتعب أو هم في عملك، فلا تجعل هذا الهم يأكل حقوق الأطفال.

إن جوهر الرحمة والمحبة للأطفال أن تبتسم لهم وأنت مهموم، وقد قيل قديما: "الأخ الصدوق من ابتسم لأخيه وقت الغضب".

نبي الرحمة يتبسم دائماً:

قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﵁: (مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا ضَحِكَ) [1]، وفي رواية قال:(مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي) [2].

---

(1) صحيح البخاري (3822)

(2) صحيح البخاري (6089)

قال العلامة **ابن بطال** في شرحه للحديث: [لقاء الناس بالتبسم وطلاقة الوجه من أخلاق النبوة، وهو مناف للتكبر وجالب للمودة] (1).

قلت: إذا كان النبي الكريم ﷺ صاحب المهام والوظائف العظمى والكثيرة كان يتبسم دائمًا لمن حوله من الأصحاب والأطفال،فهل عندنا ما هو أهم وأشد من هذه الوظائف كي نمتنع عن هذه الابتسامة؟!

معانقة المحبة:

ما أجمله من سلوك، وما أروعه من عمل، ذلك الذي تشعر به عند ضم ولدك إلىٰ صدرك، إنه المعانقة، معانقة ولدك حينما تراه، تضمه إلىٰ صدرك كي يشعر بالأمان، كي يشعر بالحب الخالص، كي يشعر بنبض قلبك وتشعر بنبض قلبه.

المعانقة: هو ذاك العمل الذي يغني عن كل الكلمات والعبارات، المعانقة: هي المعنىٰ الحقيقي للتربية بالحب.

أيها المربي، إنه ينبغي عليك أن تعانق ولدك كل يوم مرات ومرات، إذا كنت أنت لا تعانقه كي تشعره بالحب والأمان، فمن الذي يعانقه بدلاً منك؟!

★★★ وأجمل قصة في هذه الباب قصة معلمنا وأسوتنا مع أمامة بنت أبي العاص.

عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ الزُّرَقِيِّ أَنَّهُ: سَمِعَ أَبَا قَتَادَةَ يَقُولُ: (بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ جُلُوسٌ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَحْمِلُ أُمَامَةَ بِنْتَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَأُمُّهَا زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهِيَ صَبِيَّةٌ فَحَمَلَهَا عَلَىٰ عَاتِقِهِ، فَصَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهِيَ عَلَىٰ عَاتِقِهِ يَضَعُهَا إِذَا رَكَعَ، وَيُعِيدُهَا عَلَىٰ عَاتِقِهِ إِذَا قَامَ فَصَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهِيَ عَلَىٰ عَاتِقِهِ ثُمَّ قَامَ حَتَّىٰ قَضَىٰ صَلَاتَهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهَا) (2).

---

(1) شرح صحيح البخاري (5/ 193)

(2) مسند أحمد (22584)، صحيح ابن حبان (1110)

قال العلامة **ابن بطال** معلقـًا علىٰ هذه القصة: [ألا ترىٰ حمل النبي عليه السلام أمامة ابنة أبىٰ العاص علىٰ عنقه في الصلاة، والصلاة أفضل الأعمال عند الله، وقد أمر عليه السلام بلزوم الخشوع فيها والإقبال عليها، ولم يكن حمله لها مما يضاد الخشوع المأمور به فيها، وكره أن يشق عليها لو تركها ولم يحملها في الصلاة، وفىٰ فعله عليه السلام ذلك أعظم الأسوة لنا، فينبغي الاقتداء به في رحمته صغار الولد وكبارهم والرفق بهم].

وقال **ابن حجر** في تعليقه علىٰ القصة: [ومن شفقته ﷺ ورحمته لأمامة أنه كان إذا ركع أو سجد يخشىٰ عليها أن تسقط فيضعها بالأرض، وكأنها كانت لتعلقها به لا تصبر في الأرض فتجزع من مفارقته فيحتاج أن يحملها إذا قام، واستنبط منه بعضهم عظم قدر رحمة الولد؛ لأنه تعارض حينئذ المحافظة علىٰ المبالغة في الخشوع والمحافظة علىٰ مراعاة خاطر الولد فقدم الثاني] (1).

عن أبي بكرة الثقفي قال: (كان عليه الصلاة والسلام يصلي بالناس فإذا سجد وثب الحسن علىٰ ظهره وعلىٰ عنقه، فيرفع رسول الله ﷺ رفعًا رفيقًا لئلا يصرع، فعل ذلك غير مرة، فلما قضىٰ صلاته [ضمه إليه وقبله] فقالوا: يا رسول الله، رأيناك صنعت بالحسن شيئًا ما رأيناك صنعته بأحد؟ قال: إنه ريحانتي من الدنيا) (2).

⇐ قلت: إذا كان النبي المعلم يفعل هذا مع "أمامة والحسن" في الصلاة، فكيف كان خارجها؟!

قبلة الحب والحنان:

عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ ابْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»(3).

---

(1) فتح الباري (10/ 429)

(2) الثمر المستطاب (2/ 757)، قال الألباني: إسناده جيد

(3) صحيح البخاري (5997)

⇦ فتأمل أيها المربي هذا الحديث يظهر لك معنىٰ القبلة وأهميتها، وكيف أنها رحمة للطفل، فالامتناع عن تقبيله هو بمثابة عدم رحمته علىٰ الوجه المطلوب، وتقبيله هو عين الرحمة والشفقة، فتأمل.

يقول العلامة ابن بطال معلقًا علىٰ هذا الحديث: [رحمة الولد الصغير ومعانقته وتقبيله والرفق به من الأعمال التي يرضاها الله ويجازي عليها، ألا ترىٰ قوله عليه السلام للأقرع بن حابس حين ذكر عند النبي أن له عشرة من الولد ما قبَّل منهم أحدًا: (من لا يرحم لا يرحم)، فدل أن تقبيل الولد الصغير وحمله والتحفي به مما يستحق به رحمة الله، وفىٰ فعله عليه السلام ذلك أعظم الأسوة لنا، فينبغي الاقتداء به في رحمته صغار الولد وكبارهم والرفق بهم] (1).

ويقول ابن حجر في تعليقه علىٰ الحديث: [وفي جواب النبي ﷺ للأقرع إشارة إلىٰ أن تقبيل الولد وغيره من الأهل المحارم وغيرهم من الأجانب إنما يكون للشفقة والرحمة وكذا الضم والشم والمعانقة] (2).

وأما الممتنع عن هذا السلوك التربوي الصائب، فقد زجره رسولنا عليه الصلاة والسلام بقوله:(مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ)، والحاصل من هذه العبارة معنيان كما قال العلماء:

الأول: إن الذي يفعل هذا الفعل -ترك التقبيل- لا يُرحم.

الثاني: بمعنىٰ النهي أي لا ترحموا من لا يرحم الناس.

---

(1) شرح صحيح البخاري (9/ 211)

(2) فتح الباري (10/ 430)

عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»(1).

قال العلامة بدر الدين العيني: [وَحَاصِل الْمَعْنى: لَا أقدر أَن أجعَل الرَّحْمَة فِي قَلْبك بعد أَن نَزعهَا الله مِنْهُ] (2).

وعنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ -حينما رأى رجلاً ينكث بقضيب في فم الحسين عند موته- (لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُ مَوْضِعَ قَضِيبِكَ مِنْ فِيهِ) (3)، أي إنه كان يقبله من فمه ﷺ.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُفُّ عَبْدَ اللهِ، وَعُبَيْدَ اللهِ، وَكُثَيِّرًا بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ يَقُولُ: (مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا" قَالَ: فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقَعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ، فَيُقَبِّلُهُمْ وَيَلْتَزِمُهُمْ) (4).

⇐ **أيها المربي**، أوصيك بقول الله تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا) الأحزاب: ٢١.

إنني أهيب بالمربين أن يكثروا من تقبيل أبنائهم، فيكون ذلك كل يوم حتى ولو كبر الولد، فهو في نهاية الأمر بحاجة إلى حنان الأب وقبلته.

(1) صحيح البخاري (5998)
(2) عمدة القاري (22/ 100)
(3) المعجم الكبير (2878)
(4) مسند أحمد (1836)، قال الهيثمي: إسناده حسن .

وجميل جداً أن تقوم بتقبيل جبينه ورأسه في بعض الأحيان، مع عبارة معبرة ومؤثرة، كأن تقبله من رأسه قائلاً: أفتخر بك وبتميزك، وأعتز بأخلاقك الحميدة، إن النتائج المترتبة علىٰ هذا الفعل عظيمة الأثر، كبيرة القدر.

وهذه القبلة، قبلة الحنان والعطف والشفقة والرحمة، كان يفعلها نبينا المعلم ﷺ مع زوجاته، حتىٰ إنه يفعل ذلك قبل خروجه لأداء الصلاة، فتأمل.

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يقبل بعض أزواجه ثم يصلي ولا يتوضأ) [1].

⇦ تأمل يرحمك الله: يقبل زوجته ثم يصلي ولا يتوضأ؛ لأنها في هذا الموطن كانت قبلة رحمة لا قبلة شهوة، ولو كانت للشهوة لوجب الوضوء قبل الصلاة؛ وذلك لأن قبلة الشهوة مظنة نزول المذي وهو ناقض للوضوء، فتأمل.

نظرة المحبة:

انظر إلىٰ طفلك بشوق وحنان، اجعل عينيك صوبه دائمـًا مع الابتسامة الرقيقة، وأنت تنظر إليه قل له كلمة معبرة تفسر له نظرتك، قل له: أحبك. قل له: تعال اجلس بجانبي. قل له: عندما أراك أشعر بسعادة...

وفي هذا المقام أقول: إن من المحزن أن الكثير من الأطفال يرتعب ويرتجف من نظرة أبيه إليه، فكثير من الآباء ينظرون إلىٰ أبنائهم نظرة تخويف بدعوىٰ أنها للتأديب..! وهذا من الخطأ الذي له آثار سلبية مدمرة علىٰ نفسية الطفل ومشاعره، يكفي أن نظرتك إليه مصدر رعب وقلق، فما الفرق بين النظرة المخيفة ونظرة الحيوان المفترس الذي يحاول الهجوم علىٰ هذا الطفل.!!

إذا كانت هذه العبارة صعبة، فإن النظرة المرعبة علىٰ الطفل أصعب!

---

(1) صحيح الجامع الصغير (4997)

لقمة المحبة:

لقمة الحب والحنان: هي تلك اللقمة التي تضعها في فم ولدك وزوجتك ووالديك وأنتم علىٰ مائدة الطعام، كم هي مؤثرة هذه اللقمة في النفس البشرية؟

إن هذه اللقمة هي بمثابة جرعة روحية، وشحنة نفسية، يتقوىٰ بها الطفل روحيًا ونفسيًا وعقليًا وجسديًا، كم هو جميل أن تحرص عليها أيها المربي، فتطعم جميع الأسرة من يدك قبل أن تأكل، ويكون ذلك مصحوبًا بعبارة فيها الحب والثناء.

ربما بعض الأبناء لا سيما الكبار منهم يستحيىٰ عندما تطعمه، فحاول معه حتىٰ يأكل ويتعود علىٰ هذا السلوك الجميل.

والأجمل أن تجعل أبناءك يصنعون ذلك مع أنفسهم، فيقوم كل واحد منهم بإطعام الآخر بيده، كي تسود بينهم المحبة الصادقة، ويكون ذلك من الأساليب الناجحة في معالجة الشحناء والتحاسد الموجود بين الأطفال -كالعادة-.

إن هذا السلوك ممدوح ومحبب فعله مع الأحباب بشكل عام، ومع الوالدين والأولاد علىٰ وجه الخصوص، كما كان يفعل ذلك حارثة بن النعمان ﵁ مع أمه، فاستحق الثناء والجنة.

فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ ﵂: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ،، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ") وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ. (1)

لماذا هذه المنزلة لحارثة؟ لأنه كان يطعم أمه بيده كما ثبت في رواية صحيحة، ولو تأملنا لوجدنا الفعل يسيرًا، ولكن علو المكانة جاءت لما يتضمنه هذا الفعل من شفقة ورحمة ومحبة.

---

(1) صحيح ابن حبان (7014)، السلسلة الصحيحة (913)

لمسة المحبة والحنان:

لمسة الحب هي تلك الحركة اليسيرة التي تقوم بها يدك نحو الطفل، فتكون يدك تبعث لطفلك بالرسائل ذات المعنىٰ العميق.

لمسة الحب هي أقل فعل، وأيسر سلوك يقوم به المربي تجاه الأطفال، هو سلوك يسير، ولكن أثره كبير.

⇦ **أيها المربي**، دائمًا حاول الاقتراب من ولدك وضع يدك علىٰ رأسه، ضع يدك علىٰ خده، ضع يدك في يده وقتًا كافيًا، يشعر من خلالها الطفل بالحب والانتماء والسعادة.

⇦ **أيها المربي**، اقترب من ولدك حينما يكون جالسًا، قل له: تعال اجلس بجانبي، وضع يدك علىٰ رأسه أو كتفه، وتبادل معه الحديث المحبب إليه، والموعظة النافعة له.

عن الفاروق عُمَر بْن الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ... الحديث) [1].

⇦ تأمل قوله: "فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ"، تأمل الطريقة الربانية في التعليم والتربية.

إن هذا الفعل هو قمة الأساليب التعليمية والتربوية، فهذه وسيلة تربوية رائعة، تحقق الأهداف التعليمية بشكل أسرع وأيسر، ثم إن هذا الفعل هو من الدين؛ لأن النبي عليه السلام قال في آخر الحديث: (فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)، فالوسيلة والمقصد الوارد كلاهما من الدين الإسلامي، فكل شيء جاء به جبريل في هذه المشهد هو من الدين، ومن جملتها الطريقة التعليمية.

---

(1) صحيح مسلم (8)

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ..) [1]، وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا شكىٰ إلىٰ النبي ﷺ قسوة قلبه، فقال له:(إن أردت تليين قلبك أطعم المسكين وامسح رأس اليتيم) [2].

⇐ تأمل فضل اللمسة الإنسانية للطفل اليتيم، وإنني ذكرت هذا الحديث لمناسبته موضوعنا الذي نتحدث عنه، ووجه المناسبة والشبه: أن الطفل الذي لا يلمس من أبيه الحب والحنان، هو طفل يشبه اليتيم من حيث فقدان المعنىٰ القائم في الأب، فإذا فُقدت هذه المعاني من الأب كان الطفل يتيمًا، حتىٰ ولو كان أبوه حيًا.

السلوك السلبي من الطفل لا يتناقض مع حبه:

من المفاهيم التي ينبغي أن تصحح عند المربين، نظرية:"الخطأ يؤثر علىٰ المحبة"، وهذه نظرية لا تصح تربويًا، إنما الصحيح أنك تحب ولدك لأنه ولدك، حتىٰ ولو صدر منه التصرف السلبي فأنت تكره تصرفه، ولكن لا تكره الولد نفسه، فأنت تحبه دائمًا، وقد تغضب من سلوكه ولكنك تبقىٰ تحبه، وقد يرسب ولكن تبقىٰ تحبه، وهذا أمر غاية في التربية، وقد أعجبني أحد التربويين حين قال: غضبت من ولدي لأنه أخفق في اختبار المدرسة، فقلت له أنا أحبك ولكني غضبان من فعلك، وحضنته وقبلته، وقلت له: أنت حبيبي، لكن تصرفك أكرهه، فأريد المرة القادمة أن أحب تصرفك كما أحببتك..

---

(1) مسند أحمد (22153) ضعيف الترغيب والترهيب (1513)

(2) صحيح الجامع الصغير (1410)

التربية بالرفق واللين

إن الرفق هو لين الجانب والأخذ بالأيسر والأسهل والألطف، وهو جوهر التعامل بينك وبين الآخرين، والرفق هو الحلم والأناة، الرفق هو ترك الفظاظة والغلظة والعنف، وهو معنىٰ يحبه الله تعالىٰ، ويعطي عليه من الثواب ما لا يعطي علىٰ غيره.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ) (1).

وفي رواية:(إن الله رفيق يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين علىٰ العنف)(2).

وفي رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:(إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله) (3).

وفي رواية أخرىٰ لأم المؤمنين عائشة:(عليك بالرفق وإياك والعنف) (4).

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شيء قط إلا شانه) (5).

قال العلامة أبو زكريا النووي: [وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فَضْلُ الرِّفْقِ وَالْحَثُّ عَلَىٰ التَّخَلُّقِ وَذَمُّ الْعُنْفِ،وَالرِّفْقُ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ وَمَعْنَىٰ يُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ أَيْ يُثِيبُ عَلَيْهِ مالا يُثِيبُ عَلَىٰ غَيْرِهِ، وَقَالَ الْقَاضِي: مَعْنَاهُ يَتَأَتَّىٰ به من الأغراض ويسهل من المطالب مالا يَتَأَتَّىٰ بِغَيْرِهِ] (6).

---

(1) سنن أبي داود (4807)، صحيح الجامع الصغير (1771)

(2) صحيح الجامع الصغير (1770)

(3) صحيح البخاري (6024)

(4) صحيح البخاري (6030)

(5) صحيح ابن حبان (552)، صحيح الجامع الصغير (5654)

(6) شرح صحيح مسلم (16/ 145)

★★★ إن القصة التي تترجم وتجسد معنىٰ الرفق بالمتعلم والقاصر هي قصة ذلك الأعرابي الذي بال في المسجد.

فعن أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّىٰ بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ. وفي رواية: «دَعُوهُ وَلَا تُزْرِمُوهُ» قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ) [(1)]، وفي رواية أبي داود: (فأسرع النَّاس إِلَيْهِ فنهاهم النَّبِي ﷺ وَقَالَ: إِنَّمَا بعثتم ميسرين وَلم تبعثوا معسرين، صبوا عَلَيْهِ سجلاً من مَاء).

قال العلامة النووي في تعليقه علىٰ القصة: [فِيهِ الرِّفْقُ بِالْجَاهِلِ وَتَعْلِيمُهُ مَا يَلْزَمُهُ مِنْ غَيْرِ تَعْنِيفٍ وَلَا إِيذَاءٍ إِذَا لَمْ يَأْتِ بِالْمُخَالَفَةِ اسْتِخْفَافًا أَوْ عِنَادًا] [(2)].

⇐ تأمل أيها المربي أيها المعلم، هل تجدون رفقًا أعظم من هذا، ولنا في هذه القصة وقفات تربوية، وفوائد علمية:

أولاً: جلوس النبي ﷺ مع أصحابه في المسجد، وهذا يدل علىٰ استمرارية ومواصلة التربية والتعليم، فيجلس معهم كي يرشدهم ويعلمهم، وكذلك ينبغي أن يكون المربي.

---

(1) صحيح مسلم (285)

(2) شرح صحيح مسلم (3/ 190)

ثانياً: الأعرابي يرتكب خطأ أمام النبي ﷺ، وهذا الخطأ ليس باليسير، فقد بال الأعرابي في أطهر بقعة في الأرض، في بيت الله تعالىٰ، وليس أي بيت، إنه المسجد النبوي المطهر، ولو كانت شخصية النبي المعلم ﷺ مخيفة للناس لما اقترب الأعرابي منه.

ثالثاً: محاولة الصحابة منع هذا الخطأ، وزجر المخطئ، دليل علىٰ حسن تربيتهم، فقد أحسن النبي تربيتهم، حتىٰ وصل بهم الأمر إلىٰ إنكار المنكر، ودفع الضرر، والغيرة المحمودة علىٰ بيت الله تعالىٰ، فجميل أن تربي ولدك علىٰ هذا السلوك المميز، فالذي يرىٰ المنكر ويتحرك قلبه للإنكار فيبادر، خير من الذي يسكت.

فالنبي ﷺ لم ينكر عليهم هذا الأمر، ولكن أرشدهم إلىٰ وسيلة أكثر لطفًا.

رابعاً: تربية الأبناء علىٰ القيام بتغيير المنكر وتصحيح الخطأ حتىٰ ولو كان بحضرة الأكثر علمًا والأكبر سنًا، فها هم الصحابة تحركوا لتغيير المنكر بحضرة النبي ﷺ، ويستفاد من هذا تحميل الولد المسؤولية وغرس الثقة والقيادة في نفسه(1).

خامساً وهو بيت القصيد: قوله: **"لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ" فَتَرَكُوهُ حَتَّىٰ بَالَ.**

⇐ تأمل هنا حقيقة الرفق، فالنبي ﷺ قال لهم: **"لا تزرموه"** أي لا تقطعوا بوله، خشية أن يتأذىٰ ويتضرر بحبس بوله بعد أن خرج، وهذا من روائع الرفق والرحمة بالمتعلم،

---

(1) قال العلامة بدر الدين العيني في "عمدة القاري" تعليقًا علىٰ هذه القصة:[فِيهِ الْمُبَادرَة لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر.

وفِيهِ مبادرة الصَّحَابَة إِلَىٰ الْإِنْكَار بِحَضْرَة النَّبِي ﷺ من غير مُرَاجعَة لَهُ. فَإِن قلت: أَلَيْسَ هَذَا من بَاب التَّقَدُّم بَين يَدي الله تَعَالَىٰ وَرَسُوله ﷺ؟ قلت: لا؛ لِأَن ذَلِك مُقَرر عِنْدهم فِي الشَّرْع من مُقْتَضىٰ الْإِنْكَار، فَأمر الشَّارِع مُتَقَدم علىٰ مَا وَقع مِنْهُم فِي ذَلِك، وَإِن لم يكن فِي هَذِه الْوَاقِعَة الْخَاصَّة إِذن فَدلَّ علىٰ أَنه لَا يشْتَرط الْإِذْن الْخَاص، ويكتفي بِالْإِذْنِ الْعَام].

فقبل الشروع في التعليم يتأكد من المرحلة القبلية، والتهيئة النفسية، والسلامة الجسدية، وخلو العقل من الانشغال.

⇐ **أيها المربي**، قبل توجيه الأمر والنهي لولدك تأمل في النتائج المترتبة، واختر الأصلح منها.

⇐ وفائدة أخرىٰ هنا: ارتكاب أخف الضررين وأهون الشرين، فالنبي ﷺ ترك الأعرابي يبول لفائدة أخرىٰ مهمة، وهي خشية تناثر وانتشار البول في المسجد، فمن الممكن أن يخاف الأعرابي ويتحرك وهو يبول فينتقل البول من مكان إلىٰ مكان، فاختار النبي المعلم ﷺ أخف الضررين، وحَصر الشر والضرر في مكان معين ليسهل العلاج.

⇐ **أيها المربي**، حينما يرتكب ولدك خطأ أو شراً، فأول خطوة تفعلها هو حصر الشر وتحديده كي يسهل العلاج والتصحيح.

فإن كان الشر واقعًا لا محالة، فمن الحكمة أن تختار الأهون والأخف من المكروهات، وهذا لا يتأتىٰ إلا بالرفق والحكمة.

سادساً: قول أنس رضي الله عنه: (**ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»**).

⇐ **تأمل**: التعليم بعد النهي، والإرشاد بعد الإنكار، تأمل المقارنة بين الفعلين، "**لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ**"، "**إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ**".

⇐ هنا فائدة تربوية قيمة ينبغي الحرص عليها: وهي عدم الاكتفاء بتشخيص الخطأ والمنكر، بل ينبغي بيان الصواب والبديل، فالنبي ﷺ لم يترك الأعرابي حتىٰ بين ووضح له

ما الخطأ في فعله؟ ولماذا كان فعله خطأ؟ هذا المهم في التعامل مع الأبناء والطلاب، حتىٰ يترك الولد الخطأ عن قناعة، ويفعل البديل وهو الصواب عن قناعة.

⇐ وتأمل الأسلوب النبوي مع الحسن بن علي:

★★★ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِالفَارِسِيَّةِ: (كِخْكِخْ، أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ) [1].

فنهاه عن أكل التمرة، ثم بين له سبب النهي ؟ وذلك حتىٰ يترك الشيء عن علم به، فلا يرجع إليه أبداً..

سابعاً: قول أنس:(فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ).

⇐ تأمل: التربية العملية؛ كي يرىٰ الأعرابي كيف يمكن تصحيح هذا الخطأ ؟ فأمر النبي عليه السلام رجلاً يطهر المكان، ليعلم الأعرابي، أن هذا الخطأ يعالج هكذا..!

★ وهذا أمر دقيق المعنىٰ: أن تبين لولدك من خلال التجربة والواقع كيفية تصحيح الأخطاء، وكيفية التعامل معها علىٰ نحو يُذهب أثرها وضررها، فتصبح كأنها لم تكن.

موقف الأعرابي من الرسول صلى الله عليه وسلم (موقف المتعلم من المعلم)؟

(قَالَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلاَةِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا. فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِلأَعْرَابِيِّ: «لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا»)[2].

تأمل حينما يحب المتعلم المعلم ماذا يصنع له؟!

تأمل كيف أن الرفق يجعلك تمتلك مشاعر وانتماء المتعلم والطفل والطالب ؟!

---

(1) صحيح البخاري (3072)

(2) صحيح البخاري (6010)

بقي فائدة تربوية:

عندما ننظر إلىٰ حال الأعرابي نجد أنه بحاجة إلىٰ التعليم والتفقه، فالذي يجهل تحريم البول في المسجد، بالتأكيد إنه يجهل أموراً كثيرة تتعلق بأمر الدين والحياة.

ومع ذلك فالنبي المعلم ﷺ لم يخاطبه إلا في شأن الخطأ الصادر منه فقط، ولم يكثر عليه النصيحة، إنما كانت عبارة جامعة محددة واضحة.!

⇦ نستفيد من هذا: الاختصار في الوعظ، وعدم الإكثار منه خشية الملل، والتدرج في التعليم، وعدم إلقاء الأمور عليه دفعة واحدة.

ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:(إِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا، مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا) [1].

قصة النبي المعلم ﷺ مع معاوية بن الحكم رضي الله عنه:

★★★ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: (بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ») [2].

---

(1) صحيح البخاري (70)

(2) صحيح مسلم (537)

وخلاصة القصة: أن رجلاً عطس أثناء الصلاة، فقال له معاوية بن الحكم: "يرحمك الله"؛ لأنه لا يعلم أن تشميت العاطس لا يجوز أثناء الصلاة، فغضب القوم لأنه أحدث خللًا في الصلاة.

⬅ ولكن تأمل: حينما كان توجيه المصلين للمخطئ بطريقة غير صحيحة، أحدث معاوية خطأ آخر أكبر من الذي قبله، تكلم بكلام آخر في الصلاة فقال: "وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟".

★ وهذا يدل على أن الأسلوب في المعالجة إن لم يكن حكيمًا ودقيقًا فإن النتائج تكون عكسية.

⬅ والآن دور النبي المعلم ﷺ في معالجة الخطأ:

قال له النبي المعلم ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ».

تأمل: ما أجمل الرفق في التعليم، وما أروع الحوار في التأديب..!

تأمل: كيف أنه حدد الخطأ، ثم بين البديل برفق ولين(الكلام خطأ، والصواب ذكر الله).

موقف معاوية من النبي الكريم (موقف الطالب من المعلم):

ماذا قال معاوية عندما تعامل معه النبي المعلم برفق وحوار هادئ:

قال:(فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي).

تأمل: كيف أنه يريد أن يفدي النبي بأمه وأبيه..!

لماذا؟ لأنه لم ينهره ولم يضربه ولم يشتمه -وحاشاه أن يفعل ذلك ﷺ-.

وهـذا هـو حـال كـل مـتعلم وكـل طالـب: يحـب المعلـم الرفيـق، الـذي لا ينهـر ولا يضرب ولا يشتم.

لسان كل طالب وكل متعلم وكل طفل يقول عن المعلم الرفيق: (مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ).

قال العلامة النووي في تعليقه على القصة: [فِيهِ بَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عَظِيمِ الْخُلُقِ الَّذِي شَهِدَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ بِهِ وَرِفْقِهِ بِالْجَاهِلِ وَرَأْفَتِهِ بِأُمَّتِهِ وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ وَفِيهِ التَّخَلُّقُ بِخُلُقِهِ ﷺ فِي الرِّفْقِ بِالْجَاهِلِ وَحُسْنِ تَعْلِيمِهِ وَاللُّطْفِ بِهِ وَتَقْرِيبِ الصَّوَابِ إِلَىٰ فَهْمِهِ] [(1)].

وقـد اختصـر وحصـر هـذا الحـديث سـلبيات المعلـم، والمكروهـات بالنسـبة للمتعلم وهي ثلاثة:

(التعنيف والصراخ،والضرب، والشتم) فاجتنبها أيها المربي؛ حتىٰ تكون الأفضل والأحسن في قلب ولدك.

⇐ **أيها المربي الفاضل**، إن هذا السلوك كان الهدي الدائم للنبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم، وتأمل قوله سبحانه: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ) آل عمران: ١٥٩ .

---

(1) شرح صحيح مسلم (5/ 20)

يقول العلامة ابن سعدي: [أي: برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك.

{ولو كنت فظًا} أي: سيئ الخلق {غليظ القلب} أي: قاسيه، {لانفضوا من حولك}؛ لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ.

فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلىٰ دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟!

أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به ﷺ، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالًا لأمر الله، وجذبًا لعباد الله لدين الله ؟؟.

ثم أمره الله تعالىٰ أن يعفو عنهم عما صدر منهم من التقصير في حقه ﷺ، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله، فيجمع بين العفو والإحسان.

{وشاورهم في الأمر} أي: الأمور التي تحتاج إلىٰ استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره:

منها: أن **المشاورة** من العبادات المتقرب بها إلىٰ الله.

ومنها: أن فيها تسميحًا لخواطرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر علىٰ الناس -إذا جمع أهل الرأي والفضل وشاورهم في حادثة

من الحوادث- اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم، وإنما ينظر إلىٰ المصلحة الكلية العامة للجميع، فبذلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير تامة] (1).

⇐ قلت: وهذا ينطبق علىٰ الأب في تعامله مع أبنائه، فهو القائد في بيته، والراعي لأبنائه، فهلا تأسيت واقتديت بنبيك ورسولك ﷺ أيها الأب المعلم؟!

الضرب يتنافى مع الرفق ويتناقض:

إن الرجل اللطيف الرفيق الرقيق يتسم باجتنابه الضرب والعقاب، إنما يستعمل التوجيه والعتاب، فالمعلم الأول والمربي المثالي رسول الله ﷺ من صفاته ومناقبه أنه لم يضرب أحداً قط، فهذه صفة كمال ونعت إجلال.

عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) (2).

⇐ **أيها المربي**، احرص علىٰ تربية الوازع، واجتنب تربية الرادع.

قال العلامة ابن بطال: [رحمة الولد الصغير ومعانقته وتقبيله والرفق به من الأعمال التي يرضاها الله ويجازىٰ عليها].

---

(1) تفسير السعدي (1/ 154)

(2) صحيح مسلم (2328)

الشدة والتهديد تجعل النتائج عكسية:

★★★ قصة واقعية، قصة طالب:

يشارك معي بشكل مميز، ويجيب علىٰ الأسئلة بصورة سريعة، ولكنه أخفق في الاختبار بحصوله علىٰ درجة متدنية، فهناك فجوة كبيرة بين نشاطه في الفصل، وبين درجة الاختبار..!

توقعت أن يكون ثمة سبب يؤثر علىٰ الطالب، جلست مع والده، وسألته كيف تعامل ولدك، وتكلمنا إلىٰ أن وصلنا إلىٰ موضوع الاختبارات، فقال لي: أنا قلت لولدي إذا حصلت علىٰ درجة لا تعجبني سوف أعاقبك عقابًا أليمًا وسوف أفعل كذا وكذا.!!

حينها عرفت سبب الإخفاق في الاختبار.. كان السبب تهديد الأب لابنه بالعقاب الأليم، فأصبح الاختبار بالنسبة للطالب محل قلق وخوف وتوتر، بسبب التهديد والعقاب..

قلت للأب: اتركه مدة شهر، لا تتحدث معه في شأن المدرسة، وأنا أتابعه عنك.. واستجاب الأب لهذا الطلب.

بعد شهر قام الطالب بتقديم الاختبارات وإذا به يحصل علىٰ درجة متميزة..!

⇦ حينها علم الأب أن الشدة والتهديد سبب الفشل والتراجع، فتغير الأسلوب، وأصبح يستخدم وسائل الرفق والمحبة.

هذه القصة حدثت مع طالب في الصف الثامن الإعدادي.

ونفس القصة تمامًا بتفاصيلها حدثت مع طالب في الصف التاسع، وعندما تغير الأسلوب كانت النتائج متميزة، حتىٰ إن هذا الطالب شارك في مسابقات علىٰ مستوىٰ رفيع.

★ فالشدة والتهديد يساويان فشلًا وتراجعًا.

★ والرفق واللين يساويان تقدمًا وتميزًا.

ومما يدل علىٰ أن التصرف التربوي غير الصحيح يجعل النتائج عكسية، ما حصل مع معاوية ابن الحكم السلمي، فحينما رماه القوم بأبصارهم حتىٰ لا يتكلم في الصلاة، خاف معاوية وتكلم مرة أخرىٰ، وقال: "وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟".

فهم أرادوا السكوت، فكانت النتيجة الكلام؛ وذلك لأن طريقة التصحيح كانت علىٰ وجه غير سديد.

⇦ **أيها المربي**، ليكن شعارك مع ولدك إنني أريد الرضىٰ عليك، وإلا فإنني سأعفو عنك.

كما قال أحد العلماء: [اللهم ارض عنا، فإن لم ترض عنا، فاعف عنا].

التربية بالقدوة الحسنة

"تعد القدوة الحسنة أفضل أساليب التربية وأقربها إلىٰ النجاح، فالإنسان في طفولته يميل إلىٰ التقليد والمحاكاة، فإذا كان المحاكي قدوة تأصلت في النشء الخلال الطيبة والخصال الكريمة والقيم الرفيعة، وعندما يشب الفرد عن الطوق ويخطو خطىٰ الشباب تترسخ هذه القيم في نفسه ويعي ما أخذه عن القدوة، وإن وجود منهج تربوي متكامل لا يغني عن القدوة، فالمعلم القدوة يحقق بأسلوبه التربوي وسلوكه كل الأسس والأساليب والأهداف التي يرجىٰ أن يقوم عليها المنهج التربوي، لذلك بعث الله النبي محمدًا ﷺ ليكون قدوة حسنة ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب: ٢١، فكان الرسول الكريم هاديًا ومربيًا بسلوكه الشخصي، بالإضافة إلىٰ الذكر الحكيم والسنة، وكان النبي ترجمة عملية حية لتعاليم وآداب القرآن، كما أن سيرة الصحابة والتابعين تعد نموذجًا لتجسيد القدوة الحسنة للمجتمع المسلم.

القدوة أعظم أساليب التربية في نظر الإسلام الذي يقيم منهجه التربوي علىٰ هذا الأساس، فلابد للطفل من قدوة في والديه وأسرته لتنطبع في نفسه المبادئ والقيم الإسلامية، ولابد للناس من قدوة في مجتمعهم تجسد لهم شريعة الإسلام السمحة وتقاليده السامية؛ ليحملوا بصدق أمانة تربية الأجيال، ولابد للمجتمع من قدوة فيمن يتولىٰ أمره تتجسد فيه المبادئ الإسلامية فيتطلع المجتمع إليه ويسير علىٰ نهجه.

ولا يخفىٰ علينا أن حاجة الناس إلىٰ القدوة نابعة من غريزة كامنة في النفوس هي التقليد، ويمكن الإفادة من ميول وغرائز الأطفال الفطرية في تربيتهم بتكوين قدوة صالحة أمام التلاميذ وهذا يقتضي أن يكون معلم الأطفال متحليًا بالفضيلة معروفًا بالأخلاق الرفيعة، ومما لا شك فيه أنه إذا وجد الطفل القدوة الحسنة في والديه وفي معلمه حذا حذوهم، وأصبح من الميسور تربيته طبقًا لشريعة الإسلام"[1].

القدوة الحسنة تحل المشكلة وتحقق المقصود:

إن القدوة الحسنة علاج فعال للتخلص من أي آفة أو صفة تزعج المربي، وذلك من خلال فعل الشيء الذي يقابل هذه الصفة، وأقرب مثال لذلك قصة الرسول ﷺ مع أصحابه في صلح الحديبية، وإليك الشاهد من القصة:

قَالَ الفاروق عُمَرُ:(فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»، قَالَ: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّىٰ قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ ﵂، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّىٰ تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّىٰ فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا)[2].

(1) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها (1/ 53)
(2) صحيح البخاري (2731)

⇐ تأمل: كيف أن القدوة كانت علاجًا ناجحًا وسريعًا؟!

فأنت **أيها المربي** عندما تأمر ولدك بشيء ثم يتخلف عن فعله، افعل مثله أمامه، فلو طلبت منه أن يحفظ سورة من القرآن الكريم، افعل ذلك أمامه، واجعله يشاهدك وأنت تحفظ، حينما تشعر بأن ولدك يقصر في احترامك، قم أنت بتقبيل يد والدتك ورأسها، وأطعمها بيدك، حينها سيقلدك، حينما تطلب منه أن يحافظ على أذكار الصباح، افعل ذلك أمامه.

القدوة الحسنة تغرس القيم والمبادئ الراقية والصعبة:

هناك قيم ومفاهيم صعبة الحصول والتحقيق بوسائل التربية التقليدية، إلا أن هناك وسيلة بها يتحقق المراد، ويسهل الصعب، وهي: القدوة الحسنة، فإذا فعلت هذه القيمة أمام ولدك أو المقصود تربيته، فإنها ستصبح في نفسه يسيرة، لأنه بالتأكيد سيحاول التقليد، وكونه يحاول التقليد، إذاً أصبح الأمر بالنسبة له سهلاً؛ لأنه اقتنع بأن هذه القيمة يمكن تحصيلها، بدليل أنه رأى من يفعلها.

ومن أمثلة هذه القيم والمبادئ، الشجاعة والتضحية وبذل الجهد لتحقيق المقصد المحمود.

وبهذه الوسيلة استطاع المعلم والمربي الأول ﷺ أن يغرس في نفوس أصحابه أسمى القيم وأعلى المبادئ.

فعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ، فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ المُسْلِمُونَ عَلَى الغَنَائِمِ، وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا

رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَىٰ بَغْلَتِهِ البَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ»[1].

وعَنْ عَلِيٍّ، رضي الله عنه، قَالَ: (كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَىٰ مِنَ القَوْمِ مِنْهُ) [2].

فتأمل: كيف أنهم في المقدمة يقاتلون؛ لأن القدوة أمامهم، فلما رأوه في المقدمة، أصبحت قيمة الشجاعة والتضحية سهلة علىٰ النفس.

ومن الأمثلة أيضـًا المحافظة علىٰ قيام الليل فهو أمر ليس بالسهل، ولكن بالقدوة الحسنة يصبح سهلاً:

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا، فَقَامَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ لِأُصَلِّيَ بِصَلاتِهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِذُؤَابَةٍ كَانَتْ لِي - أَوْ بِرَأْسِي - حَتَّىٰ جَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ) [3].

تأمل: الشاب الصغير ابن عباس حينما رأىٰ قدوة له يقوم الليل، قام ووقف بجانبه يصلي الليل معه، فأصبح الأمر يسيراً وتحقق عن طريق القدوة الحسنة.

قصة واقعية:

"ذهبت لزيارة صديق لي، فوجدت أخاه الصغير وعمره"8 سنين" فسألته عن صلاته، فقال لي: الليلة تعبت وأنا أصلي مع أبي، وقفت وقتـًا طويلاً، ولم أجلس حتىٰ انتهىٰ أبي..!".

(1) صحيح البخاري (2864)

(2) مسند أحمد (1347)، قال: شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح .

(3) صحيح البخاري (138)

⇦ تأمل: الطفل يقوم الليل مع أبيه بكل سهولة، رغم أن الأمر فيه تعب عليه، ولكن تمسكه بالقدوة الحسنة، جعل عنده الإصرار علىٰ المواصلة.

التعليم بالقدوة الحسنة:

موضوع النظرية في التعليم لا ينجح في كثير من الأحيان ما لم يصاحبه التطبيق والتعليم العملي، ولهذا فإن كثيراً من الأمور يصعب علىٰ الأبناء تحقيقها إلا بعد مشاهدة حقيقتها وكيفيتها، وهذا ما تفطن إليه النبي ﷺ في أمور عديدة كالصلاة والحج، فهذه أمور بحاجة إلىٰ تطبيق وقدوة حسنة كي يتعلم الآخرون.

لذلك قال ﷺ: (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)، وقال في الحج: (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ)، أي تشاهدوني ثم تفعلون مثلي.

⇦ **أيها المربي**، كن لولدك قدوة حسنة في كيفية التمسك بأوامر الشريعة المطهرة.

كن لولدك قدوة حسنة في كيفية التعامل مع الآخرين.

كن لولدك قدوة حسنة في كيفية التسامح وكظم الغيظ.

كن لولدك قدوة حسنة في كيفية تلاوة القرآن الكريم.

كن لولدك قدوة حسنة في كيفية الإحسان للجار والأرحام.

كن لولدك قدوة حسنة في كيفية الدعوة إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

كن لولدك قدوة حسنة في التصدق علىٰ الفقراء وكفالة الأيتام.

حبك وقبولك هو سر نجاح هذا الأسلوب:

أسلوب التربية بالقدوة الحسنة سر النجاح والتوفيق، فيه محبة الولد لوالده، فإذا أحبه حينها يحب أفعاله وتصرفاته فيقلدها، فاحرص علىٰ أن تكون محبوبًا ومقبولاً.

وتأمل هذا الموقف تعلم من خلاله أن محبة القدوة تدفع المحب للتقليد دون مناقشة أو تفكير.

فعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ جَاءَ إِلَىٰ الحَجَرِ الأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فَقَالَ: (إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ) [1].

تخصيص الوقت لتطبيق هذا الأسلوب:

المربي المثالي هو الذي يخصص لأبنائه وقتًا يعلمهم القيم والمبادئ بشكل عملي مستخدمًا أسلوب القدوة الحسنة، وهذا من أجمل الأساليب وأكثرها سرعة في تحقيق المقصود من التربية.

جميل أن تصحب ولدك معك في الطريق، وتفشي السلام علىٰ الناس أمامه، ثم اسأله: لماذا فعلتُ ذلك؟

جميل أن تأخذ ولدك للمسجد، وتصلي أمامه.

جميل أن تقبل يد الوالدين أمام ولدك؟ ثم تسأله لماذا فعلتُ ذلك؟

جميل أن تعامل زوجتك بأخلاق حسنة أمام أبنائك، ثم تسألهم لماذا فعلتُ ذلك؟

جميل أن ترفع الأذىٰ عن الطريق أمام ولدك؟ ثم تسأله لماذا فعلتُ ذلك؟

جميل أن تسامح الناس أمام ولدك، ثم تسأله لماذا فعلتُ ذلك؟

جميل أن تتصدق علىٰ الفقراء، وتزور المرضىٰ، ثم تسأله لماذا فعلتُ ذلك؟

⇐ **هذا كله** يحتاج منك أن تخصص له بعض الأوقات كي تحقق هذه الأهداف.

★ **لا تقل**: إن هذا يحتاج إلىٰ وقت، والأمر صعب، إذا كان الأمر صعبًا، فالأمانة أصعب، والسؤال عنهم يوم القيامة أصعب.

---

(1) صحيح البخاري (1597)

ثم إن لك بذلك أجر تعليم الخير ونشر الفضيلة، وقد قيل: "من لمح نور الأجر، هان عليه التكليف".

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ) [1].

تعلق الولد بشخصية إسلامية:

قد يكون المربي لا يمتلك من الصفات ما يجعله القدوة المثالية لأبنائه، وفي هذه الحالة من الضروري أن تربط ولدك بشخصية إسلامية ناجحة، وذلك من خلال الآتي:

1- أن تسميه باسمه، أو تكنيه بكنيته.

2- تحضر له كتيبًا فيه سيرة هذه الشخصية، أو مشاهدة خطبة تتحدث عن هذه الشخصية.

3- ربما تكون شخصية إسلامية معاصرة، فيتابعها الطفل مباشرة، ويقتبس الصفات بالمشاهدة، مثلاً: يوجد عندكم إمام مسجد صوته جميل، ومقبول بين الناس، ونافع للمجتمع، فتجعل ولدك يصاحبه ويجلس معه.

احذر القدوة السيئة:

⇐ **أيها المربي**،إن أفعالك وتصرفاتك بمثابة المرشد لأبنائك، فإياك من التصرف السلبي أمامهم؛ لأن هذا يعني نقل السلوك من القدوة إلى المقتدي.

---

(1) صحيح مسلم (1017)

★★★ وقد حذر النبي المعلم من أن نمارس القدوة السلبية مع الطفل فقال: (مَنْ قالَ لِصَبِيٍّ. تعالَ هاكَ، ثمَّ لَمْ يُعْطِهِ، فَهِيَ كِذْبَةٌ) [1]، وفي رواية عن عبد الله بن عامر أنه قال: (أتىٰ رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي، قال: فذهبت أخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطيك، فقال رسول الله: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمرًا قال: فقال رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة) [2].

وذلك حتىٰ لا يقتدي الطفل بهذا الفاعل، ويتعود علىٰ هذا السلوك السلبي.

مشىٰ الطاووسُ يومـًا باعوجاجِ *** فقلدَ شكل مشيتـه بنـوهُ
فقـالَ عـلامَ تختالونَ؟ قالـوا: *** بدأتَ به ونحـن مقلـدوهُ
فخالف سيركَ المعوجَّ واعـدل *** فإنـا إن عدلت معدلـوه
أمـا تـدري أبانـا كـلُّ فـرعٍ *** يجاري بالخطأ من أدبـوه
وينشـأ ناشـئ الفتيـان منـا *** علىٰ ما كان عـوَّده أبـوه

---

(1) صحيح الترغيب والترهيب (2942)

(2) السلسلة الصحيحة (748)

التربية بالمدح والثناء(1)

إن هذا الأسلوب من أروع الأساليب التربوية والتعلمية، والتي تعالج النفس وتزرع الثقة والتفاؤل، وتجعل الأبناء متفاعلين علىٰ الدوام. كما وتجعلهم حتماً

---

(1) قد يقال: إن هذا يتعارض مع الحديث النبوي الصحيح:(إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ)، وبيان ذلك من وجوه:

الوجه الأول: توجيه العلماء لمعنىٰ الحديث وتفسيرهم له بأن الحديث ليس علىٰ إطلاقه، إنما هو مقيد بالمدح الباطل والزور.

قال العلامة ابن بطال في شرحه:[وإنما أراد بذلك إذا مدحوه بالباطل، وبما ليس في الممدوح، فقد مدح رسول الله عليه السلام في الشعر والخطب والمخاطبة، ولم يحث في وجه المداحين كمدح العباس وحسان له في كثير من شعره، وكعب ابن زهير، وقد مدح رسول الله عليه السلام الأنصار].

وقال العلامة ابن حجر في شرحه:[المراد: من يمدح الناس في وجوههم بالباطل... وأما من مُدح بما فيه فلا يدخل في النهي، فقد مُدح ﷺ في الشعر والخطب والمخاطبة ولم يحث في وجه مادحه ترابًا].

قال العلامة بدر الدين العيني في شرحه:[هَذَا فِيمَا يمدح بباطل أَو يُؤَدِّي إِلَىٰ بَاطِل].

الوجه الثاني: تقرر أن رسول الله ﷺ كان يمدحه أصحابه ويذكرونه بأسمىٰ الألقاب وأجمل المعاني ولم يحثُ في وجه أحد منهم التراب، دل ذلك علىٰ أن المدح إن كان حقًا لا يشمله الحديث السابق، كما نقلناه.

من ذلك ما قالته أم المؤمنين خديجة لزوجها عليه السلام حين نزل عليه جبريل: "ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل".

قال ابن بطال:[فيه جواز تزكية الرجل في وجهه بما فيه الخير].

الوجه الثالث: تقرر أن رسول الله عليه السلام كان يمدح من يستحق المدح، كما مدح الأنصار، وكما مدح أبا بكر الصديق، وكما مدح أبا ذر الغفاري، وكما مدح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً.

وهذا فيه شيوع للفعل الحسن، وتعزيز لفاعله، وفيه حث الناس علىٰ التأسي بصاحبه.

جاء في عون المعبود:[فَأَمَّا مَنْ مَدَحَ الرَّجُلَ عَلَىٰ الْفِعْلِ الْحَسَنِ تَرْغِيبًا لَهُ فِي أَمْثَالِهِ وَتَحْرِيضًا لِلنَّاسِ عَلَىٰ الِاقْتِدَاءِ بِهِ فِي أَشْبَاهِهِ فَلَيْسَ بِمَدَّاحٍ].

الوجه الرابع: المدح والثناء يعتبر من عاجل بشرىٰ المؤمن، أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَىٰ الْمُؤْمِنِ»، وفي رواية أحمد " فَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ بِهِ؟".

قال العلامة النووي في شرحه:[قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ هَذِهِ الْبُشْرَىٰ الْمُعَجَّلَةُ لَهُ بِالْخَيْرِ، وَهِيَ دَلِيلٌ عَلَىٰ رِضَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْهُ وَمَحَبَّتِهِ لَهُ، فَيُحَبِّبُهُ إِلَىٰ الْخَلْقِ كَمَا سَبَقَ فِي الْحَدِيثِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُول فِي الْأَرْضِ، هَذَا كُلُّهُ إِذَا حَمِدَهُ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ مِنْهُ لِحَمْدِهِمْ].

أيها القارئ: إذا كان هذا كله في حق الكبار المكلفين، فكيف بالأطفال القاصرين؟!

إيجابيين، ترىٰ في تصرفاتهم الخيرية والرشاد، فهناك العديد من الدراسات التي أثبتت أن أنجح وسيلة تربوية لبناء أسرة إيجابية متفاعلة مثالية هو أسلوب التربية بالمدح والثناء، ذلك الأسلوب الذي يبرز الطاقات، ويثبت السلوك الحسن في نفس الممدوح، فيستمر بالتقدم والتألق، فالمدح والثناء عليه هو بمثابة الوقود الحار الذي يضيء له طريق الخير والتقدم والنجاح.

إن هذا الأسلوب يشتمل علىٰ معظم الأساليب التربوية، فهذا الأسلوب يتضمن التربية بالحب؛ لأنه وأنت تمدحه تظهر حبك له، ويتضمن التربية بالرفق، ويتضمن التربية بالقدوة؛ لأنه سيصبح مثلك، يتكلم الكلام الطيب والمحبب للآخرين.

وللأسف !! فإن كثيرًا من الآباء والأمهات يستعملون بل ويكثرون من أسلوب التوبيخ والانتقاد الحاد والمحطم للنفسية، ولا أدري ما الفائدة المرجوة من هذا الأسلوب!.

أنت أيها الأب !! عندما تخطئ في عملك، هل ترغب الانتقاد والتوبيخ من مدير العمل؟! أم إن الأفضل والأنجح أن يستعمل مديرك أسلوب التعزيز والثناء كي يصحح الخطأ؟!

الرسول المربي ﷺ وأسلوب المدح والثناء:

إن المتأمل في طريقة الرسول الكريم ﷺ مع أصحابه يجد أنه كان كثير المدح والثناء علىٰ تصرفاتهم وأفعالهم وأشخاصهم، فكان يكثر ﷺ من استخدام هذا الأسلوب التربوي الرائع لتحقيق المقصود.

فالنبي المعلم ﷺ هو الذي لقب أبا بكر "بالصديق"، والنبي المعلم ﷺ هو الذي لقب حمزة "بأسد الله تعالىٰ"، والنبي المعلم هو الذي لقب خالد بن

الوليد"بسيف الله المسلول"، والنبي المعلم ﷺ هو الذي لقب أبا عبيدة"بأمين الأمة"، وهو الذي أثنىٰ علىٰ أسيد بن الحضير وقال:"نعم الرجل أسيد بن الحضير"، والنبي المعلم هو الذي أثنىٰ علىٰ العشرة المبشرين بالجنة وأخبرهم بأنهم من أهل الجنة والرحمة، ولا ثناء ولا تعزيز فوق هذا.

والنبي المعلم ﷺ هو الذي قال عن أبي ذر الغفاري:(مَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ، وَلَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ وأوفىٰ مِنْ أَبِي ذَرٍّ) [1].

⇐ تأمل كيف أن الرسول الكريم ﷺ يمدح أصحابه ويثني عليهم بأجمل الألقاب، وأسمىٰ المعاني؟!

وإذا كان هذا يفعله مع خير الناس وأكملهم إيمانـًا، فإن من دونهم أحوج للتعزيز والمدح؛ حتىٰ نزيد من صفاتهم الطيبة!.

وإذا كان النبي المعلم ﷺ يفعل هذا مع كبار الأمة،فكيف بأطفالها؟!

⇐ **أيها المربي**، احرص علىٰ هذا الأسلوب، وأكثر من استعماله مع أبنائك، وهذه نقاط مهمة لنجاح هذا الأسلوب:

الأولى: التركيز علىٰ السلوك الإيجابي كلما يظهر من الطفل، فلا تغفل عن أي سلوك دون ثناء ومدح، حتىٰ يحرص الطفل علىٰ تكراره، فمثلاً: كلما يذهب إلىٰ المسجد تثني عليه وتمدحه، وكلما رد السلام علىٰ الناس تمدحه، وكلما ساعد أمه في البيت تمدحه، فهذه وظيفتك، الرقي بالولد دومـًا، حتىٰ يصبح هذا السلوك سجية للولد.

الثانية: لا تقارن بين التصرف السلبي والتصرف الإيجابي، فلا تقل له أنت هذا العام أحسن من العام الماضي، فلا تذكره بالخطأ.

---

(1)صحيح الجامع الصغير (5538).

الثالثة: التركيز علىٰ الفعل والفاعل، أي اجعل الثناء والمدح علىٰ الولد وعلىٰ تصرفه، ولا تحصر الثناء بواحد منهما.

الرابعة: التجديد في الألقاب والمعاني، من المحبب إلىٰ نفسية الطفل أن تستعمل ألفاظًا وألقابًا عديدة ومتنوعة في الثناء والتعزيز والمدح.

كذلك التجديد واستعمال التعزيز المادي، وتقديم الجوائز والهدايا.

الخامسة: التفاعل الحسي والمعنوي أثناء المدح والثناء، فيكون مظهر عينيك وشفتيك ووجهك ويديك مظهراً معبراً وفيه الدلالة الصادقة علىٰ الإعجاب بالطفل وسلوكه.

فبذلك يشعر الطفل بالارتياح والرضا النفسي، مما يجعله يبتكر أشياء جديدة كي ينال نوعًا آخر من المدح والثناء.

المدح والثناء باللقب الهادف والمكانة المستقبلية للطفل:

جميعنا يطمح بأن يكون ولده ذا شأن في الكبر، وأن ينال مرتبة مميزة في المجتمع، ومن أروع الأساليب التي تحقق لك هذا الهدف -بعد توفيق الله- أن تمدحه باللقب الذي تحب أن يناله في المستقبل.

فمثلاً: أنت تحب أن يكون ولدك قائداً مجاهداً في المستقبل، فتناديه: يا قائد أحمد.

أنت تحب أن يكون ولدك طبيبًا ماهراً في المستقبل، فتناديه: يا دكتور محمد.

أنت تحب أن يكون ولدك معلمًا للأجيال في المستقبل، فتناديه: يا أستاذ يا معلم.

قصة هند مع ولدها معاوية:

★★★ ذكر ابن كثير في "البداية والنهاية"[1] وابن عساكر في "تاريخ دمشق": (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: أَنْبَأَنَا عَلِيُّ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي سَيْفٍ قَالَ: نَظَرَ أَبُو سُفْيَانَ يَوْمًا إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ غُلَامٌ فَقَالَ لِهِنْدَ: إِنَّ ابْنِي هَذَا لَعَظِيمُ الرَّأْسِ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ أَنْ يَسُودَ قَوْمَهُ، فَقَالَتْ هِنْدُ: قَوْمَهُ فَقَطْ، ثَكِلْتُهُ إِنْ لَمْ يَسُدِ الْعَرَبَ قَاطِبَةً).

تأمل كيف أن والده يطمح إلىٰ أن يكون ولده عظيم القوم!.

لكن أم معاوية تريد شيئًا أسمىٰ وأعلىٰ، فترفع من شأنه، وتعلي من مكانته، حتىٰ إنها لم تقبل أن يكون معاوية سيد قومه فحسب، بل تريده أن يكون سيد العرب جميعًا، وهي أعلىٰ مرتبة في عرفهم واصطلاحهم..!

تأمل كيف كان الثناء والمدح الذي يبتغىٰ منه تحقيق هدف مستقبلي.!

تأمل، كيف ستكون نفسية معاوية حين يسمع هذا الكلام من والديه؟!

⇦ والسؤال: ما هي النتيجة المترتبة علىٰ هذا المدح لمعاوية؟ وبعبارة أخرىٰ: هل هذا الأسلوب حقق أهدافه؟

معاوية والي من ولاة المسلمين:

لقد تولىٰ معاوية رضي الله عنه مسؤولية بلاد الشام زمن أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم زاد نفوذه وسلطانه زمن الشهيد الحليم عثمان بن عفان، فقد ولاه الخليفة عثمان علىٰ بلاد الشام ومصر وأماكن أخرىٰ.

معاوية خليفة من خلفاء المسلمين:

تولىٰ معاوية الخلافة الإسلامية عام (41 هجري) فأصبح أميراً للمؤمنين، وبذلك تحقق مدح أمه له حينما قالت: (ثَكِلْتُهُ إِنْ لَمْ يَسُدِ الْعَرَبَ قَاطِبَةً).

---

(1) (ج8/ 126)

⇐ **تأمل**: كيف أن الكلمة في الصغر، أصبحت واقعًا حقيقيًا في الكبر؟

تأمل كيف أن مدحًا وثناء في الحاضر،أصبح حقيقة وواقعًا في المستقبل.!

أيها الآباء والأمهات،

كن أيها الأب كأبي سفيان تطمح في أن يكون ولدك سيد القوم.

وأنت أيتها الأم، **كوني** كهند، تريدين أن يكون ولدك سيد العرب، وقائد المسلمين، وفاتح بيت المقدس..!

قصة علي بن أبي طالب مع أمه:

★★★ والقصة كما تذكرها كتب الحديث[1] والسيرة[2]، حيث إن الخليفة علي بن أبي طالب حين ولدته أمه، اختارت له اسمًا يدل على الشجاعة فكان الاسم "حيدرة" وهو اسم من أسماء الأسد، تفتخر به العرب، ثم سماه أبوه "عليًا"، هذا الاسم الدال على الشجاعة "حيدرة" كان في الصغر، وهو نوع من المدح والثناء، وأسلوب في رفع الشأن والتعزيز للطفل، ويغرس فيه قيمة الشجاعة والتضحية، وقيمة الثقة بالنفس، وقيمة علو الهمة والشعور بالسمو والتميز.

النتيجة والهدف:

والسؤال: ما هي النتيجة التي تحققت من هذه التسمية ؟ وبعبارة أخرى: هل حققت هذه التسمية هدفًا مميزاً؟

تأمل هذا الموقف:

في غزوة خيبر خرج أحد صناديد اليهود يتبختر ويريد المبارزة قائلاً: قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ ... إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

---

(1) صحيح مسلم (1807)، مسند أحمد (16538)

(2) زاد المعاد (3/ 285)

فَبَرَزَ إِلَيْهِ علي بن أبي طالب رضي الله عنه قائلاً: أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ... كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ ...أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

"فَضَرَبَ علي رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَىٰ يَدَيْهِ".

تأمل: ماذا قال علي؟ قال: "أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ".!!

تأمل، كيف أن الكلمة في الصغر، كانت نصراً وفتحاً في الكبر.!

تأمل كيف أن الطفل الصغير يحقق نصرًا للإسلام والمسلمين ويستند إلىٰ كلمة سمعها في الصغر؟

أيها المربي، اختر لولدك اسماً ولقباً وكنية، فيها المعاني السامية، والمقاصد العالية، لعلها تكون واقعاً في المستقبل؟!

قصة واقعية:

كنت في زيارة أحد المربين الفضلاء، وكان ابنه جالساً معنا ويبلغ من العمر إحدىٰ عشرة سنة، فقال الأب: إن ابني هذا سيكون في المستقبل داعياً إلىٰ الله يصعد المنبر ويرشد الناس إلىٰ الخير،(وهذا أسلوب رائع).

في المرة القادمة لما أتيت إليه، سمعت هذا الطفل يقلد الخطباء، ويكرر بعض العبارات التي تقال علىٰ المنبر، ويتلو بعض الآيات، سمعت ذلك منه أثناء صعوده الدرج.!

⬅ تأمل كيف أن والده رسم له خطوط المستقبل، فأصبح الطفل يتدرب لتحقيق هذا الهدف؟! (الأمر سهل، إنها كلمات يسيرة).

هذا الأسلوب يؤيده الكتاب وتعززه السنة:

أما الكتاب المجيد:

فقد قال الله تعالىٰ عن سيدنا إبراهيم: (فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ) الصافات: ١٠١.

فالغلام لم يولد بهذه الصفة، إنما هي بشرىٰ باعتبار ما يكون في المستقبل، لكن تأمل كيف أن الله قال: "بغلام حليم".

قال الإمام الطبري: [فبشَّرنا إبراهيم بغلام حليم، يعني بغلام ذي حِلْم إذا هو كَبِر، فأما في طفولته في المهد، فلا يوصف بذلك] [1].

وقال الله تعالىٰ: (هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ) الذاريات: ٢٤ – ٢٨.

فهو لم يولد عليمـًا، بل هذا تبشير باعتبار ما سيكون عندما يكبر، وهذا أمر معروف عند الأصوليين وهو الخطاب باعتبار ما سيكون.

وأما السنة النبوية:

فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الحَسَنَ، فَصَعِدَ بِهِ عَلَىٰ المِنْبَرِ، فَقَالَ: (ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ) [2].

⇐ **تأمل**، يقول عن الطفل الصغير: "سيد"، وهو مأخوذ من السيادة والقيادة، والطفل حينها لم يكن كذلك، ولكن هذا ثناء وتعزيز ومدح، وتفاؤل لما سيكون في المستقبل.

---

(1) تفسير الطبري (21/ 72)

(2) صحيح البخاري (3629)، سنن الترمذي (3773)

وقد كان ذلك، فأصلح الله به بين طائفتين من المسلمين، وسُمي ذلك العام بعام الجماعة؛ لاجتماع كلمة المسلمين، وهي السنة التي بايع فيها الحسن معاوية -رضي الله عنهم جميعًا-.

المدح والثناء علاج للقلق والتوتر والخوف:

يصاب الأطفال بل وحتىٰ الكبار في كثير من الأحيان بقلق وتوتر أو تعب نفسي ناتج عن إخفاق في أمر معين، أو خوف من حدث معين، أو بسبب تعرضه لعقاب أو توبيخ، إلىٰ غير ذلك من الأمور التي هي مصدر خوف وقلق وأزمة نفسية لدىٰ الأطفال وغيرهم.

وإن من أقوى أساليب العلاج وأسرعها لهذه الأوصاف السلبية أسلوب "المدح والثناء"، الذي يبث الثقة في النفس، ويرفع المعنويات، ويزرع الارتياح والاطمئنان، فهو عبارة عن بث شعاع الأمان والتفاؤل، وأذكر هنا مشهدين لأدلل علىٰ هذه القضية المهمة:

★★★ **الأول**- موقف أم المؤمنين خديجة مع زوجها الرسول الأمين ﷺ:

والموقف هو حينما نزل جبريل علىٰ الرسول عليه السلام في الغار وقال له: اقرأ، والشاهد منها:(فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ أبشر مَا يُخْزِيكَ اللهُ

أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ) (1).

⇐ **تأمل**، ذكرت له خديجة رضي الله عنها أجمل المعاني التي تفتخر بها العرب، فهي ذكرت هذه الأوصاف لأنها كانت عنوان مكارم الأخلاق عند العرب، وهي أم الصفات الحميدة، كما أفاده شراح الحديث.

قال العلامة النووي في شرحه: [قَالَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: مَعْنَىٰ كَلَامِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إِنَّكَ لَا يُصِيبُكَ مَكْرُوهٌ لِمَا جَعَلَ اللهُ فِيكَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَرَمِ الشَّمَائِلِ وَذَكَرَتْ ضُرُوبًا مِنْ ذَلِكَ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَخِصَالَ الْخَيْرِ سَبَبُ السَّلَامَةِ مِنْ مَصَارِعِ السُّوءِ، وَفِيهِ مَدْحُ الْإِنْسَانِ فِي وَجْهِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ لِمَصْلَحَةٍ نظر أو فيه تَأْنِيسُ مَنْ حَصَلَتْ لَهُ مَخَافَةٌ مِنْ أَمْرٍ وَتَبْشِيرُهُ وَذِكْرُ أَسْبَابِ السَّلَامَةِ لَهُ].

واعتبر العلماء هذا الفعل من أم المؤمنين خديجة أنه علامة علىٰ فقهها السديد، وعقلها الرشيد.

قال النووي: [وَفِيهِ أَعْظَمُ دَلِيلٍ وَأَبْلَغُ حُجَّةٍ عَلَىٰ كَمَالِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَجَزَالَةِ رَأْيِهَا وَقُوَّةِ نَفْسِهَا وَثَبَاتِ قَلْبِهَا وَعِظَمِ فِقْهِهَا] (2).

الثاني- موقف الرسول الكريم ﷺ مع ثابت بن قيس:

حينما نزلت الآية ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ الحجرات: ٢، جلس ثابت في الطريق يبكي وكان شاعراً، فمرّ به عاصم بن عديّ من بني العَجلان، فقال: ما يُبكيك يا ثابت؟ قال: لهذه الآية، أتخوّف

(1) صحيح البخاري (3)، صحيح مسلم (160)
(2) شرح صحيح مسلم (2/ 200)

أن تكون نزلت فيّ، وأنا صيت رفيع الصوت قال: فمضىٰ عاصم بن عديّ إلىٰ رسول الله ﷺ، وذهب ثابت إلىٰ بيته وقال لزوجته إذا دخلتُ بيت فرسي، فشدّي علىٰ الضبة بمسمار، فضربته بمسمار حتىٰ إذا خرج عطفه وقال: لا أخرج حتىٰ يتوفاني الله، أو يرضىٰ عني رسول الله ﷺ؛ فأتىٰ عاصم رسول الله وأخبره الخبر، فقال الرسول ﷺ: اذْهَبْ فادْعُهُ لي، فجاء عاصم إلىٰ المكان، فلم يجده، فجاء إلىٰ أهله، فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله ﷺ يدعوك، فقال: اكسر الضَّبة، قال: فخرجا فأتيا نبيّ الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: ما يُبكِيكَ يا ثابِتُ؟ فقال: أنا صيت، وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ (لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ)، فقال له رسول الله ﷺ: أما تَرْضَىٰ أنْ تَعيش حَمِيدًا، وَتُقْتَلَ شَهِيدًا، وَتَدْخُلَ الجَنَّةَ؟ فقال: رضيت ببُشرىٰ الله ورسوله) [1].

وأخرج الطبري بسنده: (قال ثابت يا نبيّ الله أخشىٰ أن أكون قد رفعت صوتي، وجهرت لك بالقول، وأن أكون قد حبط عملي، وأنا لا أشعر، فقال النبيّ ﷺ:"امْشِ علىٰ الأرْضِ نَشِيطًا فإنَّكَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ").

وفي رواية الإمام مسلم:(فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»).

تأمل،الصحابي ثابت"يبكي خوفـًا"، ويعتزل الناس ويجلس في بيته، فكيف ذهبت هذه الأوصاف؟!

(1) تفسير الطبري (22/ 279)

الجواب: بالثناء والمدح من المعلم والمربي الحكيم ﷺ حيث قال له:(تَعيش حَمِيدًا، وَتُقْتَل شَهِيدًا، وَتَدْخُل الجَنَّةَ).

⇦ **تأمل** روعة المدح، وجميل الثناء، وتألق التعزيز، وتأمل كيف أن الحزن تحول إلىٰ فرح، والخوف تبدل إلىٰ أمن، والقلق أعقبه الاطمئنان والارتياح، كل هذا بكلمات يسيرة، سيطرت علىٰ مشاعر ونفسية المخاطب، ليصبح بعد ذلك إنسانًا متفاعلاً وشخصًا إيجابيًا.!

⇦ **أيها المربي**، كثيرًا ما يتعرض الأطفال إلىٰ حوادث يترتب عليها الخوف والقلق والاكتئاب، فكن أنت بأسلوبك الجميل، وبثنائك النبيل خير طبيب لهذا الطفل، فالعلاج سهل، والدواء يسير، لا يكلفك إلا تحريك لسانك بكلمات التعزيز والثناء، فترىٰ ولدك كالشجرة المثمرة والمصباح المضيء، فيكون قرة عين لك ولمن حولك.

قصة واقعية:

★★★ كنت في عملي في المدرسة، وإذ بالطالب المتفوق أحمد في الصف السادس الابتدائي يدخل علي الغرفة وهو يبكي بشدة، وبقي هكذا عدة دقائق.

فسألته ما السبب؟

فأجاب: لقد حصلت علىٰ درجة متدنية في الاختبار..!

ثم قال: وأبي قال لي بعض الكلمات فيها توبيخ وعتاب(وأشعر أن قيمتي ذهبت، ونفسيتي دمرت) بهذا الأسلوب تكلم الطالب.!

قلت له: الأمر سهل ويسير، ولكن اذهب اغسل وجهك.

فجاءني: قلت له أنت طالب مهذب، أنت طالب نفتخر بك، أنت من أفضل الطلاب خلقًا وعلمًا علىٰ مستوىٰ المدرسة، أنت الطالب أحمد الذي تكلم قبل أيام موعظة علىٰ إذاعة المدرسة أمام جميع الطلاب..!

فهذا الذي حصل أنت أقوىٰ منه، وأنت قادر علىٰ تعديل النتيجة في الاختبار القادم، وأنت تمتلك مهارات وقدرات عالية، فكن مستبشراً... وسأتكلم مع المدرس حتىٰ يعتمد لك درجة الشهر القادم للشهرين.

فخرج الطالب من عندي يتهلل وجهه فرحًا، ويمشي بطلاقة من الفرح والسعادة.!

الاختبار القادم:

حصل الطالب في الاختبار القادم علىٰ درجة كاملة.!

تأمل، لو تركنا هذا الطالب، واكتفينا بالتوبيخ، ما النتيجة؟ النتيجة تحطيم المشاعر والنفسية، ثم التراجع السلبي.

ولكن بالثناء والمدح والتعزيز تألق الطالب، وحقق نجاحًا متميزاً، وها هو ممن يجيد الخطابة والوعظ بشكل متميز.

المدح والثناء وسيلة ناجحة لتعديل السلوك:

تأمل الأسلوب النبوي في تعديل السلوك، وتحويله من سلبي إلىٰ إيجابي:

فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ قال، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيْمٌ الْأَسَدِيُّ لَوْلَا طُولُ جُمَّتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ) (1).

(1) مسند أحمد (17622)، سنن أبي داود (4089)

تأمل: كيف أن النبي المعلم أراد تغيير السلوك بالمدح والثناء، فبدأ بقول:(نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيْمٌ الْأَسَدِيُّ) فأثنىٰ عليه ومدحه، وجعله من أفضل الرجال حينما قال: "نِعْمَ الرَّجُلُ"، بعد ذلك قال:(لَوْلَا طُولُ جُمَّتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ).

تأمل، بدأ بالثناء علىٰ الذات، ثم حاول تعديل الصفات.

بهذا الأسلوب يمتلك المربي القلوب، ويحفز المشاعر نحو الاستجابة والمبادرة، فكأنك تقول له: أنت رجل كامل في المناقب، ولو فعلت كذا تكون علىٰ وجه أكمل.

والسؤال: هل هذا الأسلوب حقق الهدف وغيَّر سلوك خريم الأسدي؟ هل قام خريم بتعديل السلوك المذكور؟.

الجواب: قال قَيْسُ بْنُ بِشْرٍ "فَبَلَغَ ذَلِكَ خُرَيْمًا فَجَعَلَ يَأْخُذُ شَفْرَةً فَيَقْطَعُ بِهَا شَعَرَهُ إِلَىٰ أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ، وَرَفَعَ إِزَارَهُ إِلَىٰ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، قَالَ: فَأَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ:"دَخَلْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ مُعَاوِيَةَ فَإِذَا عِنْدَهُ شَيْخٌ جُمَّتُهُ فَوْقَ أُذُنَيْهِ، وَرِدَاؤُهُ إِلَىٰ سَاقَيْهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقَالُوا: هَذَا خُرَيْمٌ الْأَسَدِيُّ"[(1)].

تأمل رعاك الله، كيف أن الاستجابة كانت سريعة جداً، وذلك بحسن الأسلوب، بالمدح والثناء تحقق الهدف، وتعدل السلوك.

ثم **تأمل**، كيف أنه حافظ علىٰ السلوك الإيجابي وداوم عليه ولم يتركه حتىٰ شاخ، (هكذا يفعل المدح والثناء).

وعَنْ حَفْصَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا)[(2)]، وفي رواية:(إِنَّ عَبْدَ اللهِ رَجُلٌ صَالِحٌ،

(1) مسند أحمد (17622)
(2) صحيح البخاري (1122)

لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ نَافِعٌ: فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْثِرُ الصَّلاَةَ) [1]،وفي رواية أخرىٰ أوردها ابن كثير في البداية والعيني في العمدة:(عبد الله رجل صالح لو كان يقوم الليل).

تأمل كيفية الوصول للمقصود يكون عن طريق المدح والثناء .!

تأمل كيفية التعديل والتغيير يكون برفع المعنويات وذكر الإيجابيات .!

⇦ السؤال: ما مدىٰ تأثير هذا الأسلوب علىٰ المخاطب؟

قال الحافظ ابن كثير: [وكان بَعْدُ يَقُومُ اللَّيْلَ، وَكَانَ يَقُومُ أَكْثَرَ اللَّيْلِ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ مِنْ أَمْلَكِ شَبَابِ قُرَيْشٍ لِنَفْسِهِ عَنِ الدُّنْيَا ابْنُ عُمَرَ. وَقَالَ جَابِرٌ: مَا مِنَّا أَحَدٌ أَدْرَكَ الدُّنْيَا إِلَّا مَالَتْ بِهِ وَمَالَ بِهَا، إِلَّا ابْنَ عُمَرَ،وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَبْكِي حَتَّىٰ يَبُلَّ الْحَصَىٰ بِدُمُوعِهِ] [2].

قصة واقعية:

★★★ كنت في عملي أشرح درساً في الصف التاسع وإذا بمدير المدرسة يستأذن ويدخل الفصل فقال:"سمعت كلاماً لا يعجبني عن هذا الفصل، وهناك أخطاء تصدر من هؤلاء الطلاب تجاه المعلمين، ويوجد بعض الشكاوي علىٰ طلاب هذا الفصل".

فأخذت المدير جانباً: وقلت له، هل أعطينا هؤلاء الطلاب حقوقهم وبحثنا عن ميولهم ورغباتهم الإيجابية وأشبعنا حاجاتهم؟ فأين نحن من المحبة المتبادلة معهم، أين الملاطفة، أين الابتسامة، أين المدح والتعزيز؟ إن هؤلاء الطلاب بالنسبة لي متميزون أخلاقياً، فتعجب المدير!.

(1) صحيح البخاري (7029)

(2) البداية والنهاية (9/ 8)

ثم دخلنا إلىٰ الفصل: وقلت له أمام الطلاب أنا أدعوك إلىٰ حضور حصة التربية الإسلامية غداً في هذا الفصل، كي نشاهد حقيقة هؤلاء الطلاب، وكيف أنهم طلاب مهذبون ومتميزون !!

جاء في اليوم التالي وكنت قد كتبت علىٰ السبورة"هدف الحصة: تغيير الصورة السلبية المشتهرة عن هذا الفصل"!.

النتيجة:

كانت الحصة مميزة من الناحية الأخلاقية والعلمية، لقد أظهر الطلاب كل الصفات الطيبة التي يمتلكونها، وأصبحوا أكثر تمسكًا بالأخلاق والعلم، وأكثر حبًا للمعلم الذي ذكرهم بخير وثناء..!

سألني أحد المعلمين بعد الحصة: كيف استطعت تحقيق ذلك مع هذا الفصل، قلت له: التربية بالحب، تجعل الظلام نوراً، التربية بالحب تجعل اليابس خصبًا، التربية بالحب تجعل الميت حيًا.!

قلت له: إن الطالب الذي يمارس السلوك السلبي علاجه أن تضع يدك علىٰ كتفه وتبتسم له، وتخبره بأنك تحبه وتثني عليه خيراً، حينها يتحول إلىٰ سهم في يدك، تفعل به ما تشاء..!

المدح والثناء وسيلة للوعظ والإرشاد:

لقد ذكرنا قصة معاذ عندما قال له النبي المعلم:(إني لأحبك) ثم أرشده النبي ﷺ إلىٰ أن يلتزم ذكر الدعاء دبر كل صلاة.

وهذا أسلوب مدح وثناء، بل هو من أسمىٰ أساليب المدح والثناء، فهذه شهادة بصلاحه وفضله وعلو شأنه، وبعد ذلك أرشده النبي المعلم إلىٰ الفعل المذكور.

التربية بالمناقشة والحوار

الحـوار: هـو ذلـك الأسـلوب الـذي يعتمـد علـىٰ سـعة الصـدر وتقبـل وجهـة الآخـرين ومناقشتها بهدوء، للوصول إلىٰ نتيجة ناجحة وصائبة.

الحوار: هو تبادل وجهات النظر، والسماع للآخر بذهن مستحضر، ونفسية طيبة.

الحوار: هو الأسلوب الذي استعمله القرآن الكـريم في كثيـر مـن القصـص والأحـداث، واستعمله الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم المعاندين والمحادين..!

تأمل كيف أن القـرآن الكـريم يسـرد لنـا أسـلوب الحـوار مـع إبلـيس وفرعـون والأقـوام المعاندين للرسالة النبوية! فما بالنا بالأطفال؟!

الحوار: هو الأسلوب الذي يكتشف عقول الآخرين وكيفية تفكيرها، وأهدافها!.

الحوار: هو الأسلوب الذي يكون جوهره الرفق ونهايته الوفق!.

القصص في القرآن الكريم والتي تعتمد علىٰ الحوار كثيرة جـداً وهـذا مـع الكفـار، فكيف إذا كنا نتحدث عن أبنائنا، أليس الأبناء أحق بهذا الأسلوب ؟

أليس الأطفال غير المكلفين أحق وأولىٰ بهذا الأسلوب الرفيق؟

أليس الأبناء المراهقون والذين لا يدركون مصلحتهم في الغالب أولىٰ بهذا الأسلوب؟

⇐ **أيها المربي**، عندما يخطأ ولدك فالواجب عليك تفعيل أسلوب الحوار؛ لأنـه هـو العلاج الأقوىٰ للقضاء علىٰ الظواهر السلبية.

⇐ **أيها المربي**، تخيل أن ولـدك لـم يقـع في الخطـأ فحسـب، بـل هـو يطلـب منـك أن يخطأ، ماذا ستصنع؟!

تخيل أنه يقول لك: أريد يا أبي أن أصاحب فلانـًا الذي يؤذي الناس..!

ماذا تفعل؟ تأمل قصة الشاب الذي يطلب الفاحشة من النبي ﷺ..!

النبي المعلم ﷺ والحوار مع الشاب الذي يطلب الفاحشة:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: (إِنَّ فَتًىٰ شَابًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: "ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا"، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟"، قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟"، قَالَ: لَا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟"، قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ"،قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟"، قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ"، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: "اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ")[1].

تأمل رعاك الله، ما أجمله من أسلوب، وما أروعه من حوار.!

تأمل حفظك الله كيفية الحوار المقنع، والأسلوب المسدد.!

تأمل كيفية المناقشة الهادئة والهادفة، واختيار الكلمات المؤثرة، تأمل: كيف أنه بين له قبح هذا الفعل بحوار ومناقشة يسيرة.!

ثم **تأمل** كيف أن المعلم المربي يرفق بالفتىٰ ويدعوله، حتىٰ لا يعين الشيطان عليه، وحتىٰ يبين له أننا نريد الخير والطهارة والمغفرة لك.

فقال المعلم الأول ﷺ: (اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ)، تأمل مطلب الفتىٰ، وجواب ودعاء المصطفىٰ!.

وهذا أمر في غاية الأهمية، أن تظهر لولدك أثناء الحوار أنك تحبه، وأنك تريد له الخير.

(1) مسند أحمد (22211)، السلسلة الصحيحة (370)

والسؤال: هل هذا الأسلوب حقق الهدف، ووصل إلىٰ المقصود؟

الجواب: قال راوي الحديث: (فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَىٰ يَلْتَفِتُ إِلَىٰ شَيْءٍ).

تأمل، لم يلتفت إلىٰ شيء، أي إنه ترك هذا الأمر وترك مقدماته، وترك ما يؤدي إليه. (كل هذا بحوار ونقاش هادئ).

قصة النبي المعلم ﷺ مع الأعرابي:

قد تقدم معنا قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، وكيف استعمل معه النبي المعلم الحوار بالرفق، حتىٰ اقتنع الأعرابي بخطأ فعله، وتعلم البديل الصحيح.

قصة النبي المعلم ﷺ مع معاوية بن الحكم:

قد تقدم معنا قصة معاوية بن الحكم حينما تكلم في الصلاة، وكيف أن النبي المعلم استعمل معه أسلوب الحوار والرفق في الخطاب، فكانت النتيجة صائبة ومسددة.

قصة النبي المعلم ﷺ مع أم المؤمنين أم سلمة:

والقصة ترويها لنا أم سلمة رضي الله عنها: (فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَدْبُغُ إِهَابًا لِي، فَغَسَلْتُ يَدَيَّ مِنَ الْقَرَظِ وَأَذِنْتُ لَهُ، فَوَضَعْتُ لَهُ وِسَادَةَ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَقَعَدَ عَلَيْهَا فَخَطَبَنِي إِلَىٰ نَفْسِي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مَقَالَتِهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بِي أَنْ لَا تَكُونَ بِكَ الرَّغْبَةُ فِيَّ، وَلَكِنِّي امْرَأَةٌ فِيَّ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ فَأَخَافُ أَنْ تَرَىٰ مِنِّي شَيْئًا يُعَذِّبُنِي اللهُ بِهِ، وَأَنَا امْرَأَةٌ قَدْ دَخَلْتُ فِي السِّنِّ، وَأَنَا ذَاتُ عِيَالٍ، فَقَالَ: «أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْغَيْرَةِ فَسَوْفَ يُذْهِبُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ السِّنِّ فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِي» ، قَالَتْ: فَقَدْ سَلَّمْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَقَدْ أَبْدَلَنِي اللهُ بِأَبِي سَلَمَةَ خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ) (1).

(1) مسند أحمد (16344)، صحيح ابن حبان (4065)

الفوائد التربوية من القصة:

الفائـــدة الأولى: الحـوار هـو السـبيل لإيجـاد الحلـول وإنهـاء المشـاكل والوصول للقناعة.

الفائدة الثانية: اختيار أجمل العبارات، ومراعاة مشاعر ونفسية المخاطب.

الفائدة الثالثة: ما من مشكلة إلا ولها حل ومفتاح.

توضيح القصة:

أم سلمة تطرح العديد من العقبات والمشاكل أمام زواجها من الرسول ﷺ، خشية أن يكون الأمر ثقيلاً عليه بعد الزواج.

فقالت له إنها كبيرة في السن، وإن عندها عيالًا، وإنها تغار لكون النبي عليه السلام له عدد من الزوجات المرضيات.

إن ورود العقبة والمشكلة أمر طبيعي في الحياة، ولكن العبرة في المفتاح والعلاج.!

تأمل كلام النبي المربي ﷺ، تأمل جمال العبارات التي اختارها ﷺ - ما أجمله من معلم-.

قال لها:(وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ السِّنِّ فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكِ).

تأمل، هي قالت:إنها كبيرة في السن، فكان العلاج والجواب: إنني مثلك أيضًا، وبذلك قد خفف عنها، وهون عليها ﷺ.

لم يقل لها: أنا أتحمل ذلك وأصبر، لا، لم يجعلها تستشعر أنها ثقيلة عليه، بل تكلم لها كلامًا يراعي نفسيتها، ويطيب خاطرها، ويسلي وجدانها..! (أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكِ)، أي لا فضل لأحدنا على الآخر في هذا الأمر، لنتعلم من هذا المعلم روعة الحوار مع الزوجة والطفل والطالب!.

بل في رواية ابن حبان والنسائي قال لها:(أَنَا أَكْبَرُ مِنْكِ) أي أنتِ أفضل بهذا الاعتبار.

ثم قال لها ﷺ: (وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِي).

تأمل، إنما عيالك عيالي، أي هم أبنائي، وواجب علي رعايتهم كما تؤيده رواية ابن حبان (وَأَمَّا الْعِيَالُ فَإِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ).

تأمل، لم يشعرها بأنهم عبء ثقيل عليه، لم يشعرها أن الأمر فيه كلفة عليه، بل بين لها أنهم جزء منه، وهم كأبنائه.

⇐ **أيها المربي**، ليست القضية إيجاد الحل فحسب، إنما القضية إيجاد الحل الأمثل والمناسب، إيجاد الحل الذي يراعي مشاعر الآخرين، ولا يخدش أفئدتهم.

من هنا نتعلم الدقة والتريث في اختيار الألفاظ والكلمات أثناء الحوار مع الأبناء والزوجات والطلاب.

⇐ **أيها المربي**، تأمل الرفق في سلوك النبي الكريم مع امرأة يتقدم إلىٰ خطبتها، فتطرح عليه بعض العقبات..!

لو كنت أنت في مكانة رفيعة في المجتمع ولك منصب متميز، وتقدمت إلىٰ خطبة امرأة وعندها عيال، وطرحت المرأة عليك بعض العقبات، هل سيكون الحوار هو الحل، أما غض الطرف بالكلية ؟!

★ الحوار في البداية، يجلب الثمار في النهاية.

بعد ذلك أصبحت أم سلمة هي التي تحل المشاكل، وتقترح الحلول، وتنهي الأزمات..! ولا يخفىٰ عليكم ما حدث في صلح الحديبية عندما أشارت علىٰ النبي ﷺ أن ينحر ويحلق هو أولاً، ثم انتهت المشكلة.

⇐ وفي الختام أقول: إذا كان هذا الأسلوب يستعمله النبي المعلم ﷺ مع الصحابة الكرام، فكيف بالأطفال الصغار ؟!

معايير الحوار الناجح والمناقشة الهادفة:

المعيار الأول: ضرب الأمثلة لأخذ الدروس والعبر، وهذا أسلوب له أثر علىٰ النفس، وقد أكثر القرآن من استعماله.

فمثلاً: تذكر لولدك قصة واقعية متعلقة بالموضوع، فالقصة الواقعية لها أثر قوي علىٰ النفس.

المعيار الثاني: التنويع بين الترغيب والترهيب أثناء الحوار:

فتذكر له النتائج الإيجابية إذا استجاب للنصيحة وهذا ترغيب له في الفعل، ثم تذكر له النتائج السلبية إن هو لم يترك، فيظهر له مفاسد وأضرار هذا الأمر، وهذا ترهيب له عن الفعل، وليس الترهيب يعني دائمًا التهديد، إنما يعني بيان الأضرار المترتبة علىٰ السلوك السلبي؛ ليتحقق التنفير منه.

المعيار الثالث: اختيار الوقت الأمثل والمناسب.

المعيار الرابع: اختيار المكان الأمثل والمناسب، فتأخذه إلىٰ مكان يحبه وتكون معه علىٰ انفراد ثم تتحدث معه.

المعيار الخامس: تذكر صفاته الحسنة وتمدحه بشكل متكرر أثناء الحوار.

المعيار السادس: ترك الغضب، والأخذ بوصية النبي المعلم:(لا تغضب، لا تغضبِ) وفي رواية:(لا تغضب ولك الجنة) (1).

المعيار السابع: الإصغاء والإنصات، والسماع لكلام الآخر كاملاً.

(1) صحيح الجامع الصغير (7374)

المعيار الثامن: استخدام الكلمات الدالة على المحبة أثناء الحوار، مثل: يا بني، يا ولدي، يا حبيبي...

المعيار التاسع: التحلي بالتواضع والخلق الحسن مهما كانت النتائج.

المعيار العاشر: الاستماع لفهم الآخر، وليس لإعداد العدة للرد.

المعيار الحادي عشر: عدم تحقق الهدف في الحوار لا يعني الفشل، بل يعني الجلوس معه مرة أخرى والتجديد في الأسلوب.

فرع: أسلوب الحوار يتضمن السماع لكلام الآخر كاملاً دون كبت، ثم المناقشة:

تأمل الأسلوب الرباني في القرآن الكريم، كيف أنه يعرض جميع الحجج والبراهين التي ساقها المشركون متتابعة دون إهمال لكلامهم، بل والاهتمام بها كي يتم الرد والبيان والتوضيح.

وإليك مثلاً:

قوله سبحانه في سورة الطور: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾
أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ
ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ
ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ
يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الطور: ٣٥ – ٤٣.

وقوله سبحانه في سورة الصافات: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾ الصافات: ١٦ – ١٩.

تأمل: كيف أنه يعرض جميع الكلام والحجج، ثم يبين ويوضح كل قول من هذه الأقوال ؟!

وهذا من أهم العناصر المميزة في أسلوب الحوار، السماع الكامل للآخر، كي يتم بيان كل نقطة بشكل موضوعي وعقلي، ويتم الوصول للنتيجة والهدف.

⇦ **أيها المربي**، استمع لولدك، اترك له فرصة الحديث والتعبير عن مراده، لا تقاطعه وتفرض عليه سلطة الأمر الواقع، حاوره ووضح له كل نقطة يعرضها، لا تهمل شيئًا من كلامه، بذلك تكون قد نجحت، ويكون ولدك إيجابيًا رشيداً.

حوار النبي المربي ﷺ مع عتبة:

(...فقام إليه عتبة حتىٰ جلس إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة[1] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضىٰ من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها. قال: فقال له رسول الله ﷺ:"قل يا أبا الوليد، أسمع". قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتىٰ تكون من أكثرنا أموالًا. وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا، حتىٰ لا نقطع أمرًا دونك. وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا. وإن كان هذا الذي

(1) الشرف.

يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتىٰ نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع علىٰ الرجل حتىٰ يداوىٰ منه -أو كما قال له- حتىٰ إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: "أفرغت يا أبا الوليد؟" قال: نعم. قال: "فاستمع مني" قال: أفعل. قال: {بسم الله الرحمن الرحيم. حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون. بشيرًا ونذيرًا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون})[1].

تأمل رعاك الله، النبي المعلم ﷺ يقول للصنديد عتبة: "قل يا أبا الوليد، أسمع".

تأمل رعاك الله، لم يتكلم النبي المعلم ﷺ حتىٰ تأكد أنه فرغ فقال: "أفرغت يا أبا الوليد"؟.

تأمل، بدأ عتبة المقدمة بشكل سلبي وتعدىٰ فيها علىٰ شخص النبي صلىٰ الله عليه وسلم، حينما قال عتبة: "فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضىٰ من آبائهم"، ومع ذلك استمع له النبي ﷺ، وجعله يكمل حديثه.

- **أيها المربي**، أليس الأبناء والأطفال بحاجة إلىٰ هذا الأسلوب السديد ؟!
- **أيها المربي**: أليس الأبناء والأطفال أحق وأولىٰ بهذا الأسلوب الرفيق ؟!

فرع: التربية بالحوار تتضمن معرفة الأسباب والدوافع لتحديد النقاط:

الحوار المميز والناجح هو الحوار المحدد، فيتم تداول الحديث في نقاط معينة دون عشوائية أو تخبط، وسر الوصول إلىٰ تحديد النقاط المعنية، يكون من خلال تحديد الأسباب الدافعة لهذا الفعل أو السلوك، أو الباعث علىٰ هذه القناعة.

---

(1) تفسير ابن كثير (7/ 163)

ولهذا فإن النبي المعلم ﷺ قبل البدء في محاورة الآخر ومناقشته يسأله «مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ» وهذه عبارة مشهورة عنه ﷺ، حتىٰ إنه يستعملها مع من يرتكب السلوك الحرج والخطير، كما استعملها مع حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه حينما أرسل كتابًا لبعض أقاربه يخبرهم بقدوم المسلمين إلىٰ فتح مكة، فكان جواب النبي ﷺ «مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ».

⇐ **أيها المربي**، لتكن هذه العبارة مفتاح أي حوار مع أبنائك بعد المدح والثناء، فحوار هكذا بدايته، ستفرحك وترضيك نهايته.

فرع: التربية بالحوار تتضمن أسلوب الموعظة وأخذ العبرة:

"وفي القرآن الكريم والسنة النبوية كثير من الموضوعات التي تدعو إلىٰ التأمل والاعتبار، ولكل قصة قرآنية أو نبوية هدف تربوي رباني، يستخلص منها صاحب الفكر الواعي العبرة ويستنبط منها المغزىٰ المراد، وفي ذلك يقول الله عز وجل بعد ذكر قصة يوسف ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف: ١١١.

والعبرة من القصة تربي في النشء الأخلاق الفاضلة والمبادئ السامية والعواطف الربانية، والمعلم مطالب باستخدام الوسائل المناسبة؛ لإيقاظ التأمل في نفوس التلاميذ وتعويدهم علىٰ التفكير السليم.

والمربي الواعي يمرن عقول الطلاب علىٰ تأمل آيات الله في الكون ودلائل حكمة الله ودقة صنعه، ثم يناقش الطلاب في هذه الأمور ويستجوبهم بأسئلة محكمة يتوصلون بها تلقائيًا إلىٰ الاعتراف بوحدانية الله وقدرته وأسمائه الحسنىٰ، وحتىٰ تحقق

الهدف منها يجب أن تحوي التربية بالعبرة جميع مواقف الحياة وحوادث الكون ومظاهر القدرة الإلهية.

إن الاعتبار بالأحداث التاريخية كان محل اهتمام القرآن، إذ أشار إلىٰ أحداث تاريخية بارزة كان لها ما بعدها كغزوة بدر وغزوة حنين، وأشار إلىٰ العبرة من هذه الأحداث.

والتربية بالموعظة تأخذ معاني النصح وهو بيان الحق والمصلحة من أجل تجنيب المنصوح الضرر وإرشاده إلىٰ ما يحقق نفعه وسعادته، كذلك التذكير بالموت وبالمرض وبيوم الحساب، فالموعظة المؤثرة تنفذ مباشرة إلىٰ النفس عن طريق الوجدان، وتربي العواطف وتنميها، وقد توقظ الموعظة العواطف في نفوس النشء عن طريق الحوار أو العمل والعبادة والممارسة كعاطفة الخضوع لله والرغبة في جنته"[1].

فرع: التربية بالحوار تتضمن أسلوب الترغيب وأحيانًا الترهيب(التنفير):

الترغيب: هو ذلك الأسلوب القرآني والنبوي الرشيد، فهو أسلوب قد استعمله القرآن الكريم في كثير من الآيات لحث المكلفين وترغيبهم في الخير والفضيلة.

والترغيب: هو أسلوب جميل قائم علىٰ الإغراء والتحبيب والجذب لما يحبه السامع عن طريق وعده بالثواب والتعزيز عن تلبيته الخطاب، وقد يكون هذا الثواب إما لفعله الخير، أو لتركه الشر.

أما الترهيب: فهو أسلوب مقصده التنفير من الشيء المذموم، ويعتمد هذا الأسلوب علىٰ معايير التنفير، كإظهار قبح الفعل، أو الوعيد بخطر النتائج المترتبة علىٰ هذا الفعل، أو المقارنة بين الشيء المحمود وعواقبه، والشيء المذموم وعواقبه.

(1) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها (1/ 56)

وهذا الأسلوب"**الترغيب والترهيب**" يعتمد علىٰ مرحلة سابقة، وهي غرس الإيمان والعقيدة الصحيحة، والمبادي الطيبة؛ لأنها هي الدافع للاستجابة.

والجدير بالذكر أن أسلوب الترغيب هو الأفضل والأنجح للأطفال؛ لأنه يخاطب المشاعر والوجدان، ويجذب الرغبة الباطنية للطفل، ويتوصل به إلىٰ القناعة، وهذا بخلاف الترهيب.

فالترغيب هو الأساس الذي يعتمد عليه في تربية الأطفال؛ لأنه أسلوب قائم علىٰ الرفق واللين والمحبة، وهذا المنسجم مع الحديث النبوي: (علموا وبشروا ولا تعسروا) [1].

فعندما يستجيب الطفل عن طريق الترغيب، فإنه يستجيب بقناعة وإرادة تامة، أما إن كانت الاستجابة مبنية علىٰ الترهيب فهي إرادة معدومة أو منقوصة حسب الأسلوب، وتكون القناعة كذلك إما منعدمة أو منقوصة، وهذا يقلل من نسبة الدوام والالتزام بهذا السلوك الإيجابي.

فرع: أسلوب الحوار يتضمن إثارة الذهن وجذب الانتباه:

من أهم عناصر الحوار الناجح جذب الانتباه والتفاعل، وهذا يكون بمراعاة أمرين علىٰ الأقل:

(1) صحيح الأدب المفرد (184)

الأول: السؤال بين الفينة والأخرى: كما هو أسلوب النبي المعلم ﷺ مع صحابته الكرام، حيث إنه إذا أراد أن يقرر قيمة في النفس والعقل، يقررها على صيغة سؤال كي لا ينساها المتعلم، مثل حديث («أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»)[1]، ومثل حديث:("أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟" قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فيُعطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ في النار) [2].

الثاني: التكرار: فيكرر المربي في حواره الأمر الذي يريد غرسه في نفس الطفل، كما هو أسلوب النبي المعلم ﷺ، مثل حديث أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: («أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:" الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ" فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى قُلْتُ: لاَ يَسْكُتُ) [3].

⇐ قلت: إذا كان النبي المعلم ﷺ يكرر الكلام مراراً وتكراراً مع صحابته والذين هم فصحاء العرب، فكيف بالأطفال الصغار؟

(1) صحيح البخاري (2589)
(2) صحيح ابن حبان (4394)
(3) صحيح البخاري (5976)

قصة واقعية:

طالب في المدرسة يشكي منه جميع المعلمين ويتأففون منه باستمرار، يتأذىٰ منه الكثير من الطلاب.

يحدث شغبًا وضوضاء أثناء الحصة الدراسية، يخرج من الحصة دون إذن، يتهرب من المدرسة، عاق للوالدين – والعياذ بالله –.

رأيته يومًا في ساحة المدرسة، وقلت له أريد الجلوس معك، فجلست معه، وأتيت له بشراب ساخن، فتعجب عندما أتيت له بالضيافة!؛ لأنه لم يعتد علىٰ ذلك.

بدأت الحوار معه بذكر صفاته الحسنة، وما هي صفاته الحسنة؟!

قلت له: أنت أفضل من ملايين البشر، قال لي: وكيف؟

قلت له: ألست مسلمًا تشهد بالتوحيد وتؤمن بالرسول الأمين ﷺ؟ فأنت بذلك أفضل من ملايين البشر الذين يكفرون بالله ورسوله.

وبدأ الحوار طيبًا واستمر مدة (40 دقيقة) تقريبًا.

في نهاية الحوار: قال الطالب أعاهدك أن أكون منضبطًا ومحترمًا..!

قلت له: إن التزمت وتحسنت وتميزت، سنقوم بتكريمك وتعزيزك أمام طلاب المدرسة.

تابعته: وإذ به ينشط في الحصة، ويشارك بحرارة، ويلتزم الأدب مع زملائه، ولله الحمد والفضل.

قمت بإعداد جائزة قيمة له، وأتيت به أمام جميع الطلاب، وتكلمت عنه بكلام فيه المدح والثناء، فكان يومًا عظيمًا بالنسبة لهذا الطالب..!

يرتقي بالأخلاق:

ذات يوم سألت الطلاب من قبَّل اليوم يد أمه، فقال هذا الطالب: أنا يا أستاذ قبلت قدمها.!

قصة واقعية:

ارتكب بعض الطلاب في المدرسة سلوكًا سلبيًا ومحظوراً، فكان قرار المدرسة استدعاء أولياء الأمور، والتوقيع علىٰ تعهد بعدم تكرار السلوك.

أصبح الطلاب يبكون بشدة خشية أن يعرف الآباء عن أبنائهم، فيتعرضون للعقاب.

أخذت الطلاب إلىٰ غرفتي وتحدثت معهم عن خطر هذا السلوك، ثم ذكرت ما فيهم من صفات طيبة وحسنة، واستمر الحوار والوعظ مدة ساعة تقريبًا.

وطلبت من إدارة المدرسة إيقاف الاستدعاء وإعطاءهم فرصة أخرىٰ.

كان لهذا الفعل أثر إيجابي كبير علىٰ نفسية هؤلاء الطلاب، ورأيت منهم بوادر حسنة ومظاهر طيبة، منها المشاركة في مسابقة حفظ سورة الكهف.

حتىٰ إنني إذا ذهبت إلىٰ مسجد ألقي درسًا أشاهدهم في الدرس، ثم يسلمون علي بعد الدرس.!

تأمل كيف أن الحوار يتمخض عنه نتائج متميزة.

أساليب تربوية أخرى:

التربية بأسلوب اغتنام الأحداث والمواقف للتوجيه والإرشاد.

التربية بالمتابعة والملاحظة.

أسلوب ملء الفراغ.

التربية بأسلوب اغتنام الأحداث والمواقف للتوجيه والإرشاد

يقوم هذا الأسلوب علىٰ استغلال حدث معين يتم من خلاله توجيه الطفل أو الطالب لأمر يريده المربي، ويعتبر هذا فرصة مميزة للمربي كي يغرس في النفس المبادئ ويهذبها علىٰ نحو مميز.

ويتميز هذا الأسلوب بأن تأثيره في نفس الطفل قوي وعميق؛ لأنه يأتي بعد حدث مؤثر في النفس، فيكون الطفل أكثر استجابة وقبولاً؛ لأن الذهن متهيئ تمامـًا، ولأن من الطبيعي أن يكون تأثير المعاينة أقوىٰ من الإخبار، ولهذا فقد جاء في الحديث:(لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ) (1).

النبي المعلم ﷺ وإتقانه هذا الأسلوب:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﵁: قَدِمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ:(«أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»)(2).

تأمل، اغتنم النبي المعلم ﷺ هذا الموقف وهذا الحدث كي يوصل رسالة إلىٰ نفوس المشاهدين، فيتقبلوها بقناعة تامة، وهي أن الله تعالىٰ أرحم الراحمين.

---

(1) صحيح الجامع الصغير (5374)

(2) صحيح البخاري (5999)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: [فَبَيَّنَ أَنَّ اللهَ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أَرْحَمِ الْوَالِدَاتِ بِوَلَدِهَا. فَإِنَّهُ مَنْ جَعَلَهَا رَحِيمَةً أَرْحَمُ مِنْهَا. وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ {وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} وَقَوْلُنَا: "اللهُ أَكْبَرُ"][1].

وقد كان القرآن الكريم يستعمل هذا الأسلوب في كثير من الأحداث، كما استعمله عقب الغزوات والمعارك، فتنزل الآيات تخاطب نفوس المشاهدين للحدث، فيكون الأمر أسرع استجابة وأعمق قبولاً.

وكما استعمله في حادثة الإفك، حيث نزلت سورة النور عقب هذه الحادثة المؤلمة، فكانت هذه السورة كلها تربية وآدابًا وتوجيهات وتطهيرًا وتبرئة للعفيفات، ووضعت قواعد هامة في كيفية التعامل مع هذه الأحداث، فكان لها الأثر العظيم علىٰ النفوس التي عايشت الحدث.

ومن هنا اغتنم النبي المربي ﷺ حادثة الموت والوقوف علىٰ القبر، كي يذكر الناس ويعظهم، فالموت حدث يهيئ النفوس لقبول الوعظ ، وهو موقف اغتنمه النبي المربي في بعض الأحيان ليتحقق المقصود من التوجيه والإرشاد .

ثبت في الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: « اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتِ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ »[2].

(1) مجموع الفتاوىٰ (16/ 448)

(2) صحيح الجامع الصغير (945)

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلىٰ القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم (مستقبل القبلة)، وجلسنا حوله، وكأن علىٰ رؤوسنا الطير، وفي يده عوده ينكت في الأرض، (فجعل ينظر إلىٰ السماء، وينظر إلىٰ الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه، ثلاثا)، فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر، مرتين، أو ثلاثا، (ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر) (ثلاثا)) [1] ثم ذكر الحديث بطوله وهو صحيح .

★ وأنت **أيها المربي**، قد تستعمل الآية أو الحديث في موطن وموقف معين، فيظهر معناه للمشاهد ويتأثر به وكأنه لم يسمعه من قبل، وهذا حصل مع صحابة رسولنا صلى الله عليه وسلم يوم وفاته صلى الله عليه وسلم.

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:(أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه خَرَجَ، وَعُمَرُ رضي الله عنه يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: «اجْلِسْ»، فَأَبَىٰ، فَقَالَ: «اجْلِسْ»، فَأَبَىٰ، فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ:" أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم، فَإِنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} "وَاللهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَهَا حَتَّىٰ تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ، فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إِلَّا يَتْلُوهَا")[2].

(1) صحيح أبي داوود (4753)
(2) صحيح البخاري (1241)

التربية بالمتابعة والملاحظة

يعتمد أسلوب الملاحظة علىٰ تتبع تصرفات الطفل أو الطالب أولاً بأول حتىٰ لا تتراكم الأخطاء والسلبيات، وتتم المعالجة مبكراً، ويتميز هذا الأسلوب بأن الإصلاح يكون مبكراً، قبل أن يعتاد الطفل علىٰ الخطأ ويبتعد عن بوصلة الخيرية كثيراً.

ولكن ينبغي أن يراعي المربي في هذا الأسلوب الحكمة واللطف، ولا يُشعر الطفل بالرقابة، حتىٰ لا يتسلل إلىٰ قلب الطفل أنه يعيش في بيئة تسلط وكبت، وبالتالي لا يتحقق الهدف من المتابعة، فهذا الأسلوب مقيد بما يحقق الهدف والمقصود، ويعتمد علىٰ الذكاء والخفة.

النبي المعلم ﷺ وأسلوب الملاحظة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ المَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّىٰ، فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّىٰ، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلاَثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَىٰ الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا»)[1].

(1) صحيح البخاري (757)

تأمل، النبي المعلم ﷺ يتابع ويلاحظ كيفية صلاة الرجل، ويتأكد من صحة أدائه للصلاة، وبقي يلاحظ أفعاله حتىٰ تحقق المقصود من المتابعة، وهي صحة العبادة، وتطبيقها علىٰ الوجه المطلوب.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه (أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَدْ تَوَضَّأَ وَتَرَكَ مَوْضِعَ الظُّفْرِ، لَمْ يُصِبْهُ الْمَاءُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ «ارْجِعْ، فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ»)[1].

تأمل يرحمك الله كيف أن النبي المربي ﷺ يتابع ويلاحظ أمور الرعية، حتىٰ إنه يلاحظ موضع الظفر الذي لم يصبه الماء في الوضوء؟! وكذلك ينبغي أن تكون ملاحظتك أيها المربي ملاحظة تتسم بالشمولية والدقة والتجديد.

وعن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ: (كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ)[2].

تأمل رحمك الله متابعة النبي المربي لصفة الأكل وطريقة تناول الطعام، ثم التوجيه والإرشاد وتصحيح السلوك.

إنها موعظة يسيرة، ولكنها استمرت طوال العمر مع هذا الغلام، حيث قال: "فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ"، أي إنني التزمت هذه الصفة الصحيحة وصارت عادة لي.

---

(1) سنن ابن ماجه (665)، قال الألباني: صحيح .

(2) صحيح البخاري (5376)

⇐ **أيها المربي**، إن هذا الأسلوب بمثابة صمام الأمان لحفظ ولدك من أي سلوك سلبي، فجميل أن تتابع طريقة معاملة ولدك لإخوانه، وجميل أن تتابع طريقة صلاة أبنائك، وجميل أن تتابع أبناءك في المدرسة، وجميل أن تتابع المعايير التي يعتمدها الأبناء في اختيار الأصدقاء والصحبة، وهكذا الأمر حتىٰ مدة يسيرة وإذا بهم ينطلقون وحدهم علىٰ طريقة مستقيمة مرضية.

⇐ **أيها المربي**، إن ولدك كالشجرة، كلما اعتنيت بها أعطتك ثمراً حلواً، فإذا تركتها وأهملتها لم تأخذ منها شيئًا.

⇐ **أيها المربي**، إن قلت: الأمر صعب، قلتُ لك: لن تتذوق حلاوة الذرية إلا بعد عناء التربية، كما أنك لا تتذوق حلاوة الطعام إلا بعد صهره علىٰ النار.

ألا ترىٰ عود الطيب لا تظهر رائحته إلا بعد إشعال النار فيه، فتخرج حينها الرائحة الطيبة.

ألا ترىٰ أن الذهب لا يكون ذهبًا خالصًا إلا بعد مرحلة حرارتها شديدة، ولكن النتيجة مفيدة.

بقدر الكد تكتسب المعالي *** ومن طلب العلىٰ سهر الليالي
يغوص البحر من طلب اللآلي *** ويحظىٰ بالسيادة والنوال
ومن طلب العلىٰ من غير كدٍ *** أضاع العمر في طلب المحال

أسلوب ملء الفراغ:

قال الله سبحانه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾

جاء في أضواء البيان: [وفي قوله فإذا فرغت فانصب، حل لمشكلة الفراغ التي شغلت العالم حيث لم تترك للمسلم فراغا في وقته ؛ لأنه إما في عمل للدنيا، وإما في عمل للآخرة.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أنه مر على رجلين يتصارعان، فقال لهما: ما بهذا أمرنا بعد فراغنا".

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "إني لأكره لأحدكم أن يكون خاليا سبهللا، لا في عمل دنيا ولا دين" ولهذا لم يشك الصدر الأول فراغا في الوقت.]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ) (1).

قال العلامة السيوطي: [أَي هَذَانِ الأمران إِذا لم يستعملا فِيمَا يَنْبَغِي فقد بيعا بِنَجس لَا يحمد عاقبته] (2).

وقال الإمام الحسن البصري: [نفسك إن لم تشغلها بالخير، أشغلتك بالباطل].

⇦ **أيها المربي**، ولدك إن لم تشغله بالخير، أشغل نفسه بالشر.

⇦ **أيها المربي**، ولدك إن لم تملأ وقته بما ينفعه، ملأ وقته بما يضره.

الأطفال عادة عندهم مخزون من الطاقات التي لا يمكن أن تكبت أو تخمد، فكان من الواجب توجيه هذه الطاقة نحو الخير والإيجابية، وإلا عادت علينا بالضرر والفساد.

فهذه الطاقة حتماً ستخرج، ولكن المهم كيف تخرج؟ وفي أي مجال ستفرغ؟ هذا شأن المربي.

---

(1) صحيح البخاري (6412)

(2) شرح سنن ابن ماجه (1/ 307)

ولهذا فإن من سمات الإسلام أنه جاء بالعبادات والمستحبات متنوعة وشاملة، حتىٰ لا تمل النفس البشرية، فدعا الإسلام إلىٰ العبادات الروحية والمالية والبدنية والاجتماعية وممارسة التفكير النافع والارتقاء في العلم، والترويح عن النفس، وتقوية الجسد، وركوب الخيل، والرماية، والتسابق المحمود، والرحلات النافعة والهادفة، وهذا أمر حرص عليه العلماء قديمًا، حيث إنهم كانوا يصحبون أبناءهم معهم في الرحلات العلمية والدينية.

⇐ **ولهذا فإنني أهيب بالمربيين والآباء** أن يجهزوا لأبنائهم برنامجًا يوميًا يسيرون عليه، كي يضمنوا ملء الفراغ بشكل صحيح.

كيف أملأ فراغ أطفالي؟

1- حفظ القرآن الكريم بطريقة مسلية،وتكثيف التعزيز والتحفيز الراقي.

2- عقد مسابقة في فنون متنوعة، مع مراعاة جوانب التسلية والترويح والتعزيز.

3- ارتباط الطفل بالصحبة الصالحة والتي تعينه علىٰ اغتنام الأوقات.

4- القصة اليومية: برنامج يومي لحكاية القصص الدينية والغزوات المشتملة علىٰ القيم والمبادئ، مع مراعاة عناصر التشويق والتعزيز والتسلية.

5- الممارسة الرياضية المتنوعة لتقوية الجسد، وتنمية روح المنافسة المحمودة، كالسباق والرمي والسباحة وركوب الخيل ونحو ذلك.

6- حضور المجالس المفيدة، كحلقات العلم، وصلة الأرحام، وزيارة المرضىٰ.

7- الرحلة الهادفة: وتكون برفقة الصالحين، وتتضمن برنامجًا علميًا ودعويًا، والرحلات من الأمور التي يكتسب منها الطفل خبرات ومعارف هادفة.

الفصل الخامس:

تربية الرادع وأساليبها السلبية، وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: الضرب.

المطلب الثاني: الصراخ والتهديد.

المطلب الثالث: الشتم والسب.

تربية الرادع وأساليبها السلبية

كان من الضروري التعرض لهذا الموضوع، وهو الأساليب السلبية في التربية، وهذه الأساليب يجمعها شيء واحد وهو الشدة والعنف والقسوة، فهي أساليب متنوعة من حيث التوصيف، لكنها مجتمعة من حيث المعنىٰ، وهي التي يُعبر عنها بتربية الرادع، وهي تقابل تربية الوازع، فالأولىٰ قائمة علىٰ التخويف والعقاب، والثانية قائمة علىٰ الرفق والحب والثواب.

وقد اقتصرت علىٰ ذكر ثلاث وسائل أو ثلاثة أوصاف وذلك لسببين:

الأول: لأن هذه الثلاثة هي الأكثر شيوعًا.

الثاني: لاقتصار الحديث النبوي علىٰ ذكرها في مقام التربية والتعليم.

وذلك حين قال معاوية بن الحكم عن الرسول المعلم: (فَمَا ضَرَبَنِي وَلَا كَهَرَنِي وَلَا سَبَّنِي).

فهذه ثلاثة أوصاف هي الجامعة للتربية السلبية، ومن تركها كان مربيًا إيجابيًا ناجحًا.

هذه الأوصاف من تركها استحق أن يقول له أولاده وطلابه كما قال معاوية: (مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ).

★ فهذه معادلة تربوية: من ترك هذه الأوصاف كان هو المعلم الأحسن والمربي الأمثل.

هذه أوصاف تكرهها النفس البشرية، تخيل أن معلمك يضربك، وتخيل أن مديرك في العمل يعنفك ويوبخك، وتخيل أن شخصًا أساء الأدب معك وشتمك..!

كما أنك تكره هذه الأوصاف في جانبك، كذلك الطفل البريء، له نفس المشاعر والوجدان.

ولا أنسىٰ قصة ذلك الشاب الذي بلغ من العمر (30 عامًا) وقال: إن المعلم الفلاني إذا رأيته في الطريق لا أسلم عليه، وأبغضه كثيراً..!

لماذا؟!

قال: لقد شتمني وأساء إلىٰ كرامتي وأنا في الصف الرابع الابتدائي (أي قبل 22 سنة).

★★★ ولا أنسىٰ قصة ذلك الشاب البالغ من العمر (25 عامًا) وقال: إنني لا أحب الصلاة في هذا المسجد لأجل أن فلانًا يصلي فيه..!

قلت له: إنه كبير في السن، وينبغي احترامه وتوقيره..!

قال: لا، فأنا لا أحب رؤيته؛ لأنني وأنا في الصف الثاني الابتدائي كنت أصلي في الصف الأول، فنهرني وصرخ علي أمام الناس، وجعلني أصلي في الخلف بدعوىٰ أنني صغير..!

هكذا الأسلوب السلبي في الصغر، يتحول إلىٰ عداوة وكراهية في الكبر.

⇐ **أيها المربي**، أنت ترسم سيرتك في عقل طفلك، وتحفر مكانتك في قلبه، فاختر لنفسك سيرة ومكانة؟

الضرب (العقاب البدني)

ينتشر هذا الأسلوب في وسط الآباء والأمهات والمربين، بدعوىٰ أنه هو الحل الأسرع في إخماد وإنهاء السلوك المزعج، وإذا قلت لمن يستخدم هذا الأسلوب: هذا خطأ، احتج عليك ببعض الأحاديث التي يظهر منها مشروعية الضرب..!

توجيه الأحاديث التي يظهر منها مشروعية الضرب[1]:

يوجد بعض الأحاديث التي يظهر منها مشروعية الضرب مثل الحديث النبوي:(مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) [2].

أولاً: تأمل كم هي المدة الزمنية بين الأمر بالصلاة والضرب علىٰ تركها.

المدة هي: ثلاث سنوات، هل يعقل أن الأب يأمر ابنه بالصلاة ثلاث سنوات ثم لا يستجيب هذا الطفل البريء، صاحب الفطرة السليمة..!

هل يعقل وجود مربٍ ناجح يفشل في تحقيق هدف في فترة ثلاث سنوات، ومع طفل صغير، هو في العادة يقلد والده؟!

ثانيًا: هل قام المربي بواجب التعليم والمداومة عليه خلال هذه الفترة، ثم ترك الطفل الصلاة، أم إن التقصير من المربي؟!

ثالثًا: وهذا هو التوجيه الأمثل للأحاديث التي يظهر منها الضرب،هل الرسول المعلم ﷺ استعمل الضرب كوسيلة تربوية، فيا مَن تحتج بهذا الحديث أين أنت من فعله وسلوكه التربوي؟!

---

(1) كيفية الطريقة الصحيحة لفهم هذه الأحاديث.

(2) صحيح الجامع الصغير (1482)

فعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ) [1].

تأمل، ألا يوجد مَن يخطئ زمن النبي المعلم ﷺ؟ ألم يشاهد النبي المعلم ﷺ بعض الأخطاء والتصرفات السلبية؟!

فأين استعماله للضرب والعقاب؟! (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ).

رابعـًا: الحديث نص علىٰ أمر عظيم وهو الصلاة، ويدخل فيها ما كان في معناها من الأمور العظيمة، فهل نحن نستعمل الضرب في الأمور العظيمة والخطيرة أو نستعمله دائمـًا وفي كل شيء؟! فتأمل.

خامسـًا: الحديث أمهل المتعلم مدة ثلاث سنوات كفرصة ومساحة لتغيير السلوك، فهل أنت أعطيت ولدك فرصة ومدة كافية يراجع فيها نفسه، وتستعمل فيها وسائل التربية الصحيحة؟ أم إن الوعظ والإرشاد مرة، والضرب كل مرة؟!

سادسـًا: عند وجود المبرر الشرعي للضرب فإن العلماء قالوا:ترك الضرب أفضل، كما ذكره الإمام النووي.

سابعـًا: لماذا لا نتهم أنفسنا بالتقصير في تربية الأبناء؟ لماذا نحمل الأبناء المسؤولية ثم نعاقبهم؟!

ثامنـًا: خذ بوصية النبي المعلم حينما قال:(علموا ويسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وإذا غضب أحدكم فليسكت) [2]. ووصيته حينما قال:(ولن يضرب خياركم) [3].

وقد يقال: إن الضرب يحقق أهدافـًا في بعض الأحيان.

(1) صحيح مسلم (2328)

(2) صحيح الجامع الصغير (4027)

(3) غاية المرام (251)

نقول: لو سلمنا أنه حقق بعض الأهداف، فاعلم أن الوسائل الأخرىٰ تحقق كل الأهداف، وبشكل أعمق وأسمىٰ؛ لأن الهدف الذي حققه الضرب، تحقق تحت ضغط الخوف من العقاب، فمتىٰ انتهىٰ العقاب انتهىٰ الهدف، فهو إنجاز لحظي مؤقت، يذهب بذهاب الدافع عليه، فهو يعطي نتائج سريعة ولكنها مؤقتة، ولكن الشيء الدائم من الضرب هو هدم شخصية الطفل وجعله ضعيف الثقة بنفسه.

ولا أنسىٰ أولئك الأخوة الثلاثة، الذين كان والدهم يداوم علىٰ الضرب والعقاب يريد تأديبهم، وكانوا يلتزمون البيت، ويظهر عليهم الانضباط أمامه، لكنهم كانوا من ورائه يمارسون الكثير الكثير من السلوكيات السلبية وكنت أرىٰ ذلك بعيني.

كبر الأب وأصيب بمرض:

ظهرت الحقيقة: فكان حالهم سيئًا ومتدنيًا أخلاقيًا واجتماعيًا، وهو لا يستطيع أن يفعل شيئًا، فقد ذهبت القوة التي كانت تضبطهم..!

أضرار الضرب وآثاره السلبية:

لقد أثبتت العديد من الدراسات التربوية والنفسية والصحية أن للعقاب البدني أضرارًا وسلبيات كثيرة منها:

1- الكذب: فالطفل الذي يتعرض للعقاب يكثر من الكذب؛ وذلك كي يحمي نفسه من العقاب، فيضطر للكذب حتىٰ لا يقع عليه العقاب، وهذا أمر نشاهده كثيراً، ولهذا يستحيل إذا أخطأ الابن أن يعترف لأبيه المضراب والمصراخ بأنه أخطأ، وكذلك الطالب في الفصل يستحيل أن يعترف للمعلم المضراب والمصراخ أنه أخطأ.

2- الخيانة: فالطفل الذي تعرض للعقاب يظهر السلوك الإيجابي أمام والده خشية العقاب، ولكنه حين غياب المراقبة فإنه يظهر السلوك السلبي، وبهذا يتحول الطفل

إلىٰ شخصيتين، شخصية تظهر بالثوب الجميل أمام العقاب، وشخصية تظهر بالثوب القبيح عند غياب العقاب، فيظن المربي أن ابنه علىٰ مستوىٰ جيد من الأخلاق، ولكن الحقيقة خلاف ذلك.

وإنما ذكرت الكذب والخيانة في المقدمة، حتىٰ نعلم أن الضرب هو حل مؤقت، لا ينهي المشكلة، فالطفل يخدع والده تهربًا من العقاب.

3- الكراهية: مما لا شك فيه أن النفس تكره من يؤذيها لا سيما في سن الطفولة، والأصعب من ذلك أن الطفل يكره من يؤذيه دون أن يظهر الكراهية، ويكبتها في نفسه للمستقبل.

(لا أنسىٰ قصة الشاب البالغ من العمر (23سنة) حينما قال لي: إنني أتمنىٰ لفلان كذا وكذا من الشر والسوء، فقلت له: ولماذا؟ فأجاب: لقد ضربني علىٰ وجهي وأنا في الثامنة من عمري، وبكيت بكاء شديداً)، فتأمل.

4- ضعف الشخصية والخوف: تجد شخصية الطفل الذي يتعرض للعقاب ضعيفة، فهو لا يستطيع مواجهة المواقف الصعبة؛ لأنه لم يتعود علىٰ الحوار والتعبير عن رأيه، إنما تعود علىٰ سياسة التسلط والقهر.

5- العدوانية: تجده يعتدي علىٰ الآخرين ممن هم دونه في القوة والسن،يفرغ الكبت الباطني، وينقل الأسلوب الذي يمارس عليه، في حين أنك تجد الأبناء الذين لا يتعرضون للعقاب، لا يعتدون علىٰ أحد، وتجدهم بعيدين عن العنف.

(اتصلت بولي أمر لأحد الطلاب، وذلك لكثرة سلوكياته السلبية، فلما جاء والده، أول كلمة قالها: أنا كل يوم أضربه ضربًا شديداً حتىٰ يتأدب، قلت له: إذًا هذا هو السبب..).

6- التبول اللاإرادي.

7- وضع الأصابع داخل الفم، وقضم الأظافر بالأسنان.

8- ضعف النطق والتعبير عن مراده.

9- الشعور بالحرمان والانطواء، مما يجعله سهل الانقياد لصحبة السوء؛ لأنه يبحث عن أي شيء يشبع رغباته.

10- ضعف التحصيل الدراسي، وكراهية التعليم.

يقول الاستشاري النفسي، د. مصطفىٰ أبو السعد: [بعد كل التراكمات التي تراكمت لدينا من دراسات وأبحاث والتعمق في موضوع التربية، يمكن أن أجزم أن التربية لا يمكن أن يصبح من مبادئها ووسائلها العقاب، وبالتالي أجزم بأن العقاب ليس خياراً تربويـًا، فالضرب والعقاب يدمر علاقتك مع أبنائك، الضرب يدمر شخصية الولد، فإما يجعله عنيفـًا متمرداً، وإما مستسلمـًا خائفـًا ضعيف الشخصية.

أما أن يقول البعض: الله عز وجل يعاقب، والقاضي يعاقب، وهناك في القرآن الثواب والعقاب...

أنا أتحدث عن أب وأم، فالأدوار تختلف، القاضي دوره أن يعاقب، أما المربي فدوره أن يربي، إذا كان الطفل لا يعلم القراءة والكتابة فهو يعلمه القراءة والكتابة، إذا لم يكن يعرف حسن التصرف نعلمه حسن التصرف، ولماذا يصر الكبار والذين لا يفقهون في التربية علىٰ أن الولد إذا لم يحسن التصرف نعاقبه، فالتربية هي العلاقة، لا تنجح التربية إلا بعلاقة إيجابية بين الطرفين.

حتىٰ الأنبياء والرسل، يؤكد القرآن للنبي عليه السلام "وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" أي إنك خرجت جيلاً رائعًا من الصحابة والمسلمين بسبب أسلوبك التربوي، بسبب علاقتك الإيجابية معهم] [1].

البدائل عن العقاب السلبي:

1- تلبية رغبات الطفل في الحدود المشروعة، فلا تكثر من القول (ممنوع. ممنوع) ما دام لا يترتب عليه ضرر؛ لأن كل ممنوع مرغوب لا سيما عند الأطفال، مما يولد العناد عنده، ويولد الغضب عند المربي فيلجأ إلىٰ الضرب.

2- تفريغ طاقة الطفل عن طريق المسابقات النافعة، أو الأنشطة الرياضية الهادفة.

3- تفعيل الجوائز والحوافز، فإذا كنت ترغب في سلوك معين من ولدك، شجعه علىٰ فعله من خلال أسلوب الثواب والجوائز التي يحبها.

4- الحوار والمناقشة: فإذا تصرف بشكل سلبي، كان من الضروري الجلوس معه ومناقشته بأسلوب هادئ، كي يترك السلوك بدافع الوازع لا الرادع.

5- المصاحبة: من الضروري أن يصاحب الوالد ولده، ويأخذه لأماكن عديدة يستفيد منها، وبذلك يكون ملأ علىٰ الطفل فراغه، وارتقىٰ بتفكيره.

أساليب العقاب التربوي:

1- النظرة المعبرة عن عدم الرضىٰ بالسلوك، والتي يظهر فيها اللوم والعتاب.

2- السكوت المعبر عن رفض السلوك، والذي يظهر منه اللوم والعتاب.

(1) من محاضرة " العقاب ليس خيارا تربويا "

3- وقف الحوافز والجوائز التي يأخذها الطفل أو التقليل منها، وذلك حسب السلوك الذي ارتكبه، ولكن مع إتاحة الفرصة له وإخباره بأنه إذا ترك هذا السلوك فإن له حوافز وتعزيزًا. فإن استمر الطفل ولم يترك،يتم حرمانه من الأشياء المحببة إليه مع بيان السبب.

4- التلميح والتعريض: أثناء جلوسك مع الأسرة تحدث عن هذا السلوك السلبي دون تعرض للطفل الفاعل، وبين أنك لا تحب هذا السلوك.

5- مدح غيره أمامه، والتركيز علىٰ الأسلوب الذي ينافي تصرفه.

6- تركه دون الحديث معه مدة يسيرة، وحينها يعلم أنه ارتكب خطأ، ووالدي غير راض عن تصرفي.

7- وجود دفتر تقييم، يتم فيه رصد الإيجابيات،قائم علىٰ قاعدة(وأتبع السيئة الحسنة تمحها).

تنبيه: من المهم أن تسأل الطفل "ما أسباب العقاب"، حتىٰ تتأكد من تحقق المقصود.

العقاب الإيجابي والمثمر:

لعل أساليب العقاب التربوي أحيانًا لا تؤدي المقصود منها نظراً لبعض الظروف التي يمر بها الطفل، أو الصفات الشخصية للطفل، وهنا يأتي دور العقاب التكليفي الإيجابي والمثمر، أي إنك تعاقبه لكن بطريقة مثمرة، بطريقة لها نتائج مفيدة وطيبة، وهذا ما تعلمناه من أسلوب القرآن الكريم مع المخطئ.

العقاب الإيجابي في القرآن الكريم والسنة النبوية:

1-كفارة اليمين ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ المائدة: ٨٩.

تأمل كيف أن الشرع يزجر ويعاقب بطريقة إيجابية تعود علىٰ الفرد والمجتمع بالنفع والصلاح.

2-وجوب الوفاء بالنذر وإلا ففيه الكفارة (وهي مثل كفارة اليمين).

3-كفارة القتل الخطأ(عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين).

تأمل، طريقة تربوية نافعة، تعود علىٰ الفرد والمجتمع بالخير والصلاح.

4- كفارة الظهار (عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا).

5- كفارة من أتىٰ زوجته وهي حائض: (يتصدق بدينار أو نصف دينار) [1].

6- من أتىٰ زوجته في نهار رمضان: (صيام شهرين متابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا).

7- من أتىٰ محظورًا في الحج: (مثلاً كالحلق:ففيه كفارة: ذبح شاة، أو صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين).

تأمل رحمك الله كيف أن الشرع الحكيم يعاقب ويزجر بطريقة نافعة وإيجابية، تعود بالخير والنفع علىٰ الفرد والمجتمع ؟!

(1) صحيح أبي داود (257)

يعاقبه بطريقة يؤجر عليها، ويثاب علىٰ فعلها، وفيها مساعدة للآخرين، وفيها بذل وعطاء وسخاء، وفيها تربية للنفس..!

أيها المربي، إنه أسلوب جميل ورائع، فيا حبذا لو طبقته مع أولادك.

وسائل العقاب الإيجابي والنافع مع الأبناء:

هذا الموضوع قائم علىٰ منهجٍ فيه المحبة والمودة والأسلوب المقنع، والفائدة منه أن نغرس في نفوس الأبناء القاعدة النبوية والتربوية (أتبع السيئة الحسنة تمحها).

1- حفظ سورة معينة من القرآن الكريم (مثلاً: أخطأ ولدك فتكلفه بطريقة تربوية وحكيمة بحفظ سورة من القرآن).

2- القيام بترتيب البيت دون إثقال (وفي ذلك مساعدة للأم وتخفيف عنها).

3- تقديم اختبار فيما تعلمه (تقول له: اقرأ مادة اللغة العربية وسأعطيك اختباراً).

4- ممارسة التمارين الرياضية (فتطلب منه أن يفعل التمرين كذا، وفي ذلك تقوية لجسده).

5- الصيام: فتكلفه بطريقة تربوية وحكيمة بصيام يوم ويكون الولد علىٰ قناعة بإيجابية هذا الأسلوب وأنه فيه الخير والرقي له.

6- قيام الليل: يقوم جزءًا من الليل، تحدد له عدد الآيات التي يصلي بها (بحكمة).

7- قراءة بعض القصص أو الأوراق العلمية(ومن ثم تختبره فيها).

8- إعداد الطعام لأهل البيت: فعندما يخطأ تقول له: ستصنع لنا الطعام (وفي ذلك تفعيل لقيمة الإيثار والتعاون).

9- إرساله لزيارة الأرحام كالجدة: وفي ذلك تفعيل للصلة وتحمل المسؤولية وحب الآخرين (بطريقة تعزيزية فيها الترغيب في الثواب مع ذكر النصوص الشرعية).

10- الاستيقاظ مبكراً وإيقاظ إخوانه لصلاة الفجر: (توكيله بمهمة إيقاظ أهل البيت لصلاة الفجر مدة أسبوع).

تأمل: إنها أساليب تربوية هادفة، تغرس قيمًا وفوائد من خلال تطبيقها علىٰ الأبناء.

كما أن فيها توجيهًا للطاقات والقدرات بشكل إيجابي ومفيد.

وقد يقال: كيف تكون عقابًا وهي عبادات ومستحبات وقيم نافعة؟

نقول: النفس البشرية لا تحب التكليف ولا تقبل الرقابة،فهي بهذا الاعتبار تصبح تكليفًا مشوبًا بشيء من العقوبة، لكنها في النهاية عقوبة محمودة، وأثرها طيب وجميل.

كما أن هناك أشياء طيبة ومستحبة لكنها ثقيلة علىٰ النفس، وتحتاج إلىٰ مجاهدة وصبر يسير، كالصيام وقيام الليل، وحفظ سور من القرآن الكريم. (فالجنة حُفت بالمكاره).

فالحاصل: أن منهج التربية السليمة، يرفض أن يكون المربي صلبًا في طبعه ووصفه فينتج عنه النفور، كما أن هذا المنهج يرفض العكس؛ لأنه لا يدرك الحقائق ولا يصل للمطلوب ويؤدي للتسيب ويورث الإهمال، إنما المقصود الوسط وهو المربي الذي جمع بين اللين والحزم، فيستعمل كل واحد منهما في وقته المناسب، وعلىٰ الوجه المناسب.

وإنما نقصد بالحزم والصلابة تلكم الصفة الإيجابية التي تمكن المربي من الثبات علىٰ المتابعة، والدوام علىٰ حسن التربية، ومواصلة التطبيق للمنهج التربوي كاملاً، فيكون صلبًا في عزيمته وتحقيق أهداف التربية الصحيحة، وليست الصلابة والحزم الذي يؤدي للفعل المذموم تجاه الأبناء.

جاء في عون المعبود: [الطَّبَائِع ثَلَاثَة: طَبِيعَة حَجَرِيَّة صُلْبَة قَاسِيَة لَا تَلِين وَلَا تَنْقَاد، وَطَبِيعَة مَائِيَّة هَوَائِيَّة سَرِيعَة الِانْقِيَاد مُسْتَجِيبَة لِكُلِّ دَاعٍ كَالْغُصْنِ أَيّ نَسِيم مَرَّ يَعْطِفهُ، وَهَاتَانِ مُنْحَرِفَتَانِ، الْأُولَىٰ لَا تَقْبَل وَالثَّانِيَة لَا تَحْفَظ، وَطَبِيعَة قَدْ جَمَعَتْ اللِّين وَالصَّلَابَة وَالصَّفَاء فَهِيَ تَقْبَل بِلِينِهَا وَتَحْفَظ بِصَلَابَتِهَا وَتُدْرِك حَقَائِق الْأُمُور بِصَفَائِهَا، فَهَذِهِ الطَّبِيعَة الْكَامِلَة الَّتِي يَنْشَأ عَنْهَا كُلّ خَلْق صَحِيح].

الصراخ والتهديد

يفيد بعض التربويين أن الصراخ أشد ألمـًا وأكثر سلبية من الضرب؛ لأن مشهد الإنسان وهو يصرخ مشهد مرعب ومخيف بالنسبة للكبار، فكيف بالصغار؟.

ولهذا فإن الإنسان يصعب عليه أن ينسىٰ مشهد الصراخ، ويبقىٰ يتذكره مهما طال الوقت؛ لأنه مشهد غير عادي، ومخالف لطبيعة الإنسان.

ولهذا فأنا أتذكر مشاهد لأناس وهم في هذه الحالة منذ طفولتي، ومما يؤكد أن هذه الحالة ليست من طبيعة الإنسان قوله سبحانه وتعالىٰ: (وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ) لقمان: ١٩.

قال ابن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: [لو كان رفع الصوت خيرًا ما جعله للحمير].

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: [صِيَاحُ كُلِّ شَيْءٍ تَسْبِيحٌ لِلَّهِ إِلَّا الْحِمَارَ].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: [{وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ} أدبًا مع الناس ومع الله، {إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ} أي أفظعها وأبشعها {لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة، لما اختص بذلك الحمار، الذي قد علمت خسته وبلادته].

وتأمل الحديث النبوي:(إِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَىٰ شَيْطَانًا) (1).

إن هذا الكلام كاف في التنفير من رفع الصوت، فلا شيء أبلغ في التنفير من هذا الأسلوب، لذلك كان الصراخ أشد علىٰ نفسية الطفل من الضرب.

---

(1) صحيح البخاري (3303)

ولشدة الأثر السلبي الذي يتركه الصراخ والتعنيف، ذكرها معاوية بن الحكم أُولىٰ الأمور كما في رواية مسلم وأحمد:(فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي) فتأمل تقديمها علىٰ الضرب والشتم.

ما كهرني: أي لم ينهرني ولم يعنفني.

أيها المربي، اجتنب التهديد والصراخ؛ لأن هذا مما يحطم نفسية الطفل، ويجعله يعيش بيئة الرعب والخوف، فالصراخ والتهديد لا يمكن أن يصدر من إنسان سليم الطبع والنفسية، ولهذا فإنني لا أتصور أن الإنسان العاقل والصالح يمارس هذا الدور مع أبنائه.

إن الصراخ والتهديد يتنافىٰ مع الرفق، ويتنافىٰ مع الحب، ويتنافىٰ مع الحوار، ويتنافىٰ مع الفطرة.

أيها المربي، لا تجعل هم وتعب العمل وكثرة الأشغال سبباً في تحطيم معنويات أبنائك، لا تجعل ولدك يدفع فاتورة همومك وأشغالك، ففي كثير من الأحيان ينتج الصراخ عن ضغوط يمر بها الأب، ثم ينفجر في وجه ولده أمام أي سلوك سلبي، لماذا لا تستبدل هذا الصراخ بالابتسامة والصبر؟!، لماذا لا تحاول ترك الهموم والعيش مع الأسرة بهناء؟!

حينما تقول: لا أستطيع ذلك لأنني مهموم ومنشغل، اعلم أنك فقدت الحكمة والعاطفة الوجدانية، اعلم أنك تساهم في تدمير أسرتك من حيث تشعر أو لا تشعر.

المربي الذكي: هو الذي يجعل أسرته وأبناءه سبباً في ذهاب همومه، وعلاج أحزانه، فالخير أن تجعل للداء دواء، وليس أن تكرر الداء في كل محطة ومكان.

فإذا كان العمل فيه هموم وكدر، فليكن البيت فيه العلاج والدواء والفرح.

أيها المربي،أتمنىٰ بعد تأملك الآية والحديث أن تعزل الصراخ من قاموس المعاملة مع الآخرين، لا سيما الأبناء والزوجة.

يقول المختص التربوي والاستشاري النفسي، د. مصطفىٰ أبو السعد: [الصراخ كارثة تربوية، الكارثة الكبرىٰ الصراخ، الطفل بحكم ذاته وحواره الداخلي قد يقول اضربيني يا أمي، اضربني يا أبي، لكن لا تصرخ في وجهي، احرمني ولكن لا تصرخ في وجهي، الحرمان بسيط قد أنساه، ولكن الصراخ محطم ومدمر؛ لأنه يدمر شيئين، يدمر صورتك أنت الذي تصرخ، ويدمر معنويات الذي يُصرخ في وجهه.. كن دائمًا مبتسمًا] [1].

ويقول أيضًا: [الصراخ عنف شديد، أسوأ عنف يتلقاه الولد الصراخ؛ لأن الصراخ إيذاء نفسي وجسدي] [2].

أيها المربي اجتنب العتاب والذم:

طبيعة النفس البشرية لا ترغب النقد والعتاب،فكثرة العتاب والمداومة عليه يجعل عند الطفل مناعة من الاستجابة أو الانتباه إلىٰ المعاتب. ويكفينا هدي المعلم الأول، والمربي الأمثل، فإنه لم يكن يعاتب أحداً ألبتة، لعلمه بأن تكرار هذا السلوك لا يجني ثماراً، ولا يحقق إنجازاً .

قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: (وَاللهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ سَبْعَ سِنِينَ، أَوْ تِسْعَ سِنِينَ، مَا عَلِمْتُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُ: هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا) [3]

(1) من محاضرة "الصراخ كارثة تربوية".

(2) من محاضرة "الصراخ علىٰ الأطفال".

(3)سنن أبي داود (4773)، قال الألباني: حديث حسن .

السب والشتم

(أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقا) [1].

أفاد بعض التربويين أن السب والشتم من الأمور التي يكرهها الطفل في البداية، ثم لم يلبث قليلاً إلا ويعتاد عليها وتصبح مألوفة بالنسبة له، فيعتاد علىٰ سماع هذه الألفاظ السيئة، فتصبح طبيعية في حياته، والأخطر كما أفاد بعض المختصين أنها تصبح سلوكًا تطبيقيًا علىٰ جوارحه دون الشعور بأنها مذمومة، لكثرة ما يسمعها، حتىٰ إن بعض الآباء يجعلها لقبًا لولده.

ويكفي هنا لبيان خطأ هذا السلوك السلبي تجاه الأبناء، أن نقول: إن هذا يتنافىٰ مع الأخلاق الحسنة التي أوصىٰ بها الإسلام.

ألم يوصك الكتاب المجيد: (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا) البقرة: ٨٣.

ألم يحذر الكتاب المجيد من هذا السلوك: (وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) الحجرات: ١١.

ألم يوصك النبي المعلم ﷺ قائلاً:(وخالق الناس بخلق حسن) [2].

هذا خطاب عام، ومعيار في التعامل مع الآخرين، فكيف بالأطفال غير الراشدين؟!

---

(1) صحيح الجامع الصغير (1230)

(2) صحيح الجامع الصغير (97).

الآثار السلبية المترتبة على السب والشتم:

1- ذهاب القدوة الحسنة من شخصية الأب، حيث يصبح الأب شخصية سلبية في نظر أبنائه.

2- اعتياد الأبناء علىٰ هذه الألفاظ، إذ إن الأب القدوة يتلفظ بها، وهذا يؤثر علىٰ سلوكهم وأخلاقهم.

3- ذهاب روح المحبة والمودة والصداقة بين الأب وأبنائه.

4- ضعف ثقة الولد بنفسه، إذ إن أباه يداوم علىٰ تحطيم معنوياته والإهانة من قدره.

5- الكذب؛ حتىٰ يحمي الطفل نفسه من السب والشتم.

6- ممارسة الطفل هذا السلوك عندما يزعجه شيء.

وإن من أشنع صور السب والشتم علىٰ الأبناء الدعاء عليهم بالغضب والسخط ونحو ذلك، وهذا مخالف لوصية النبي ﷺ.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ خَدَمِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ) (1).

والأخطر: أنه قد يستجاب الدعاء كما هو مذكور في الحديث، وإنني أعرف تلك المرأة التي رفعت يديها إلىٰ السماء حينما غضبت من ولدها فقالت: "قطع الله ذريتك".

فكان معه من الولد "واحد" وقد توقفت الذرية من يومها فلم ينجب لهذا اليوم -ولا حول ولا قوة إلا بالله-.

(1) صحيح ابن حبان (5712)، سنن أبي داود (3118)

إياك والغضب؛ فإنه مفتاح الشر:

الغضب هو مفتاح الآفات والشرور التي تظهر علىٰ جوارح الإنسان، فعند التأمل نجد أن الأوصاف الثلاثة المذكورة لا تكون إلا بعد الغضب، فإذا غضب المربي حينها يصرخ، وإذا غضب حينها يضرب، وإذا غضب فحينها يشتم ويهدد.

الغضب هو المعنىٰ الذي إذا تلبس بالإنسان أصبح ناقص النظر والعقل، وناقص الرشد والحكمة؛ لأنه معنىٰ يؤدي إلىٰ اختلال العقل والاستقامة، ولهذا فقد نهىٰ النبي ﷺ القاضي أن يقضي وهو غضبان؛ وذلك لاختلال النظر والحكمة، ولأنه سيؤدي إلىٰ نتائج سلبية.

وتأمل وصية النبي المربي للناس، ففي الحديث الصحيح الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه قال: (إن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «لا تغضب». فردد ذلك مرارًا قال: «لا تغضب»).

قال العلامة النووي رحمه الله: [فَلَمْ يَزِدْهُ فِي الْوَصِيَّةِ عَلَىٰ لَا تَغْضَبْ مَعَ تَكْرَارِهِ الطَّلَبَ، وَهَذَا دَلِيلٌ ظَاهِرٌ فِي عِظَمِ مَفْسَدَةِ الْغَضَبِ وَمَا يَنْشَأُ مِنْهُ] [1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: [لأن الغضب يؤول إلىٰ التقاطع ومنع الرفق، وربما آل إلىٰ أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين] [2].

(1) شرح صحيح مسلم (16/ 162)
(2) فتح الباري (10/ 520)

ولك أن تتأمل أن الشرع سلب القاضي وظيفته السامية حال الغضب، كما جاء في الحديث: (لاَ يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ) [(1)]، وفي الوقت نفسه جعل الشرع معيار الحكمة والقوة، هو تملك الغضب وعدم إظهاره.

فالكل يحفظ الحديث الصحيح: (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) [(2)].

قال العلامة ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: [فدل هذا أن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو؛ لأن النبي عليه السلام جعل للذي يملك نفسه عند الغضب من القوة والشدة ما ليس للذي يغلب الناس ويصرعهم. ومن هذا الحديث قال الحسن البصرى حين سئل أي الجهاد أفضل؟ فقال: جهادك نفسك وهواك] [(3)].

أيها المربي، كن رفيقًا، فإن الغضب لا يليق بك، أتغضب على طفلك الصغير، أم على ولدك البريء؟

أيها المربي، الغضب يحرك اللسان نحو الشر، والأيدي نحو العنف، والقلب نحو الحقد..!

ولأن نتيجة الغضب شر ونزاع، أوصى النبي المعلم ﷺ الغضبان أن يسكت حال غضبه لئلا يتصرف تصرفًا سلبيًا، فأمره بالسكوت؛ لأن الغضب لا ينتج عنه إلا المفسدة والغلظة، فقال: (وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فليسكت، إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فليسكت [مرتين]) [(4)].

---

(1) صحيح البخاري (7158)
(2) صحيح البخاري (121)
(3) شرح صحيح البخاري(9/ 295)
(4) صحيح الأدب المفرد (184)

ماذا أفعل عندما أغضب؟:

عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع) (1).

وفي رواية (إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) (2).

وإن كانت هذه الرواية ضعيفة سنداً، إلا أن العلماء قالوا بصحة معناها ويندب العمل بما دلت عليه كما قرر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمه الله.

هذا، وقد قرر العلماء من خلال التجربة العلمية صحة ما دلت عليه هذه الرواية، وهذا ما أثبته الطب الحديث، حيث أثبتت الدراسات الطبية الحديثة أن للوضوء تأثيراً إيجابياً على تسكين الغضب والانفعال.

التعوذ بالله من الشيطان الرجيم: قال العلامة ابن بطال: [الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تذهب الغضب، وذلك أن الشيطان هو الذي يزين للإنسان الغضب وكل ما لا تحمده عاقبته ليرديه ويغويه ويبعده من رضا الله تعالى فالاستعاذة بالله تعالى منه من أقوى السلاح على دفع كيده] (3).

أيها المربي، ترك الغضب نتيجته الفوز بالجنة، قال النبي المعلم ﷺ: (لا تغضب ولك الجنة) (4).

---

(1) صحيح الجامع الصغير (399)

(2) السلسلة الضعيفة (582)

(3) شرح صحيح البخاري (9/ 267)

(4) صحيح الجامع الصغير (7374)

ملحق

كيفية التعامل مع الخطأ وتعديل السلوك

كثيرون هم الذين يطرحون المشاكل، ولكن قليل هم الذين يطرحون الحلول، والأقل هم الذين يمارسون هذه الحلول في الواقع، وهذه جملة من الحلول والمهارات في كيفية تعديل السلوك السلبي لدىٰ بعض الأبناء والطلاب، مع العلم أن الخطأ الصادر من هؤلاء الأبناء هو خطأ تقليدي وليس ابتكاري، بمعنىٰ أنهم ينقلون ويطبقون ما يشاهدونه في الواقع ..

كما أن من الضروري أن نتذكر بأن الولد والطالب يعيش في واقع مرير ومؤلم، وأزمات شديدة ومتلاحقة في جميع المجالات، وهذا يعني بأن الولد لم يأخذ ما يريد، وبالتالي لن يعطينا ما نريد ..!

ومع هذه الأزمات والصعوبات، فإن بمقدور المربي الناجح أن يتغلب عليها، كما تغلب عليها المربي الأول عليه السلام، وأخرج جيلاً مميزا وفريداً .. وذلك بأساليبه التربوية الناجحة:

هذا كله يدفعنا إلىٰ سؤال، وهو: كيف يمكن تعديل سلوك ولدي ؟

أولاً: أخي المربي تقبل الخطأ بنفسية طبيعية، لأنه هو الدافع لوجود المعلم والمربي، كالمرض فإنه الدافع لوجود الطبيب، فالمعلم والمربي وجد لتصحيح الخطأ وتعديل السلوك، والطبيب وجد لمعالجة المريض وتخليصه من مرضه، فإن أردت طلابًا أو ولداً بلا أخطاء فانت تطلب المستحيل، لأن كل بني آدم يخطئ .

ثانيـًا: اجتنـاب الغضـب: كمـا أوصـاك النبـي المعلـم ﷺ قـائلاً: "لا تغضـب"، وذلك لأن الغضب بوابة الشر والنزاع، فالإنسان حينما يغضب يفقد الحكمة ويضطرب العقل، فيكون تصرفه سلبيًا .

لأجل ذلك سلب الشرع وظيفة القضاء من القاضي عندما يغضب، حتىٰ لا تصدر منه أحكام وقرارات سلبية وغير حكيمة، ونفس هذا الحكم ينطبق علىٰ المعلم والمربي، والعلاج هو في الحديث النبوي: "إذا غضب أحدكم فليسكت"

ثالثًا: السؤال عن دوافع السلوك السلبي: كان هدي النبي المعلم ﷺ السؤال عن دوافع التصرف السلبي قبل تشخيصه وعتاب صاحبه، فعبارته المشهورة حينما يشاهد التصرف السلبي "ما حملك علىٰ ما صنعت" فيسأل المخطئ هذا السؤال، كي يستطيع تقييم التصرف علىٰ الوجه المطلوب وبشكل صحيح، فقد يكون هذا التصرف له مبرر، ومعذور صاحبه، فجميل أيها المربي: أن تسأل المخطئ عن سبب تصرفه قبل الحكم عليه، فإذا عرفت الداء، سهل عليك الدواء .

رابعـًا: الحوار الهادف، والمناقشة الهادئة والعقلانية: وأجمل ما يذكر هنا، قصة الشاب الذي طلب من النبي أن يرخص له في الزنىٰ، فقال له النبي المعلم ﷺ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟" قَالَ: لَا: قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟" قَالَ: لَا. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ". وبهذه الطريقة الإيجابية، زالت القناعة السلبية عند هذا الشاب، وأصبح الزنىٰ مكروهـًا عنده. وبالتأكيد لو طبقنا هذا الأسلوب مع طلابنا وأبنائنا، فإن النتيجة ستكون مثمرة وإيجابية.

خامسًا: كراهية الخطأ لا يعني كراهية فاعله: فالفاعل هو ابنك وتلميذك، فأنت تكره التصرف السلبي، وفي نفس الوقت تحب هذا الشخص الفاعل لأنه طفلك المسلم، وحسنات المسلم تذهب سيئاته.

وتأمل الهدي النبوي حينما قال النبي المعلم ﷺ: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد" فهو تبرأ من التصرف والصنيع، ولم يتبرأ من الفاعل، وانتبه: التصرف هنا هو القتل، حيث قَتل خالد رضي الله عنه بعض الناس خطأ أثناء المعركة.

أيها المربي: لا تذم الطفل المخطئ، ولا تعنفه، ولا توبخه، واجعل كلامك يتناول التصرف لا الذات.

سادسًا: لغة المحبة والحنان: جميل أن تجعل مقدمة النصيحة والتعديل هي لغة المحبة، فتقول له: إني أحبك، وإني أحب لك الخير، لذلك افعل كذا، ولا تفعل كذا .

وهذا هو هدي وأسلوب النبي ﷺ مع أصحابه، حيث إنه أراد أن ينصح معاذ بن جبل رضي الله عنه فبدأ بقول "يا معاذ والله إني لأحبك" وأراد النبي المعلم أن ينصح أبا ذر رضي الله عنه فقال له : إني أحب لك ما أحب لنفسي فلا تتول مال يتيم"

سابعًا: المدح والثناء على الذات لتعديل الصفات: كان هدي النبي المعلم ﷺ إذا أراد تعديل سلوك، بدأ بمدح صاحبه والثناء على الشخص، ثم يرشد إلى تعديل السلوك. ومن أمثلة ذلك قوله "نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيْمٌ الْأَسَدِيُّ لَوْلَا طُولُ جُمَّتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ" ومثل قوله "نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ" . فتأمل كيف يمدح النبي عليه السلام الشخص، ثم يطلب منه تعديل السلوك، أو فعل المزيد من الخير؟!

أيها المربي: جميل أن تقول لولدك أنت مميز ورائع لو فعلت كذا .. أنت مؤدب وبطل لو فعلت كذا.. سأعطيك هدية إذا فعلت كذا.

ثامناً: استشعار وجوب وأهمية الدعوة والإصلاح: فتصحيح سلوك الأبناء والطلاب هو واجب أوجبه الله تعالىٰ علينا، وهي أمانة نُسأل عنها يوم القيامة فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، قال رسول الله ﷺ: "إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيع؟" [1] وهنيئاً لمن أصلح نفساً أو أرشد شخصاً، قال الرسول الكريم ﷺ: "فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ" [2]

(1) تقدم، وهو صحيح.

(2) صحيح البخاري (4210)

ملحــق

الرقي بالأبناء

إعداد خطة علمية للرقي بالأبناء وتطوير قدراتهم:

إن المربي المثالي لا يطمح بالتربية الحسنة لأبنائه فحسب، بل طموحه وهدفه أن يكون أبناؤه علماء المستقبل، فيقوم بإعداد برنامج علمي للرقي بأبنائه، وتطوير قدراتهم، وجميل أن يطلق علىٰ هذا المشروع المتواضع (علماء المستقبل) فيكون الطفل صغير السن، عظيم العقل والتفكير.

معايير نجاح هذه الخطة:

1- الترغيب بفضل العلم والعلماء.

2- المتابعة الدائمة والمتواصلة.

3- التعزيز والحوافز القيمة لمن يحقق الإنجاز.

4- التقليل من التكاليف؛ حتىٰ يكون الأمر خفيفًا وسهلاً علىٰ الأطفال.

5- عدم الإكثار من اللوم والعتاب، إنما المدح والتعزيز لمن يحقق الإنجاز.

اجعل هذه الخطة على مراحل:

أولاً: خطة وبرنامج منتظم لإتقان حفظ القرآن الكريم، ودراسة علومه المختصرة. [1]

ثانيًا: خطة علمية شاملة للفنون الشرعية النافعة،علىٰ سبيل المثال:

1- الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية.

(1) يوجد العديد من البرامج والوسائل للحفظ المتقن، يختار المربي ما يراه الأنسب والأفضل لأبنائه وأسرته .

2- منظومة العقيدة للأطفال.

3- تحفة الأطفال الجمزورية.

4- الأصول الثلاثة.

5- الأربعون النووية.

6- المنظومة البيقونية.

7- متن الأجرومية.

ثالثًا: خطة علمية للنهوض بالقدرات الإبداعية،علىٰ سبيل المثال:

1- دورة في فن الخطابة والوعظ.

2- دورة في فن القراءة وتلخيص الكتب.

3- دورة في موهبة الشعر واللسان الفصيح.

4- سماع سلسلة من الدروس النافعة وتلخيصها مثل متابعة سلسلة تتناول سيرة أشخاص من الصحابة والتابعين.

5- عقد المسابقات النوعية والمتنوعة بين الأبناء أنفسهم.

رابعًا: خطة علمية تتناول دراسة كتب مختصرة بشكل جماعي، يقودها الأب، علىٰ سبيل المثال:

1- كتاب: العقيدة للطفل المسلم (سلسلة سؤال وجواب).

2- كتاب: مختصر السيرة النبوية (للمباركفوري).

3- كتاب: صفة صلاة النبي عليه السلام.

4- كتاب: مختصر الشمائل النبوية.

5- كتاب: رجال حول الرسول عليه السلام.

6- كتاب: مكارم الأخلاق.

7- كتاب: حلية طالب العلم .

8- كتاب: أين نحن من أخلاق السلف ؟

9- كتاب: شرح الأربعين النووية.

10- كتاب: شرح متن الأجرومية.

قَدْ هَيَّئُوكَ لِأَمْرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ *** فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَىٰ مَعَ الْهَمَلِ

(كنت في زيارة لأحد الأصدقاء، فجاء أولاده -وهم أطفال- يسلمون، فرأيت منهم أخلاقًا مميزة، ويتكلمون بعبارات فيها العلم والنباهة، فقلت: ما شاء الله.

سألته ماذا تصنع معهم؟

قال: أجلس معهم كل يوم (10دقائق فقط) قبل النوم، وأحدثهم عن قصة دينية، أو قيمة إسلامية).

تأمل: 10 دقائق، لكن النتيجة كبيرة القدر، عظيمة الأثر -ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء-.

تجربة واقعية أنقلها للفائدة:

قمت بإعداد مشروع في المدرسة التي أعمل فيها، وأطلقت عليه اسمًا بعنوان: [علماء المستقبل] وتضمن هذا المشروع الأمور الآتية:

1- قمت باختيار مجموعة من الطلاب الذين يتسمون بالذكاء والمثابرة، وحب الرقي والتقدم، وكان عددهم قرابة العشرين.

2- يشتمل هذا المشروع علىٰ العديد من الفنون العلمية المتنوعة، وهي كالآتي:

*** حفظ سور معينة من القرآن الكريم.

*** حفظ متون علمية، كالأربعين النووية.

*** دورة علمية بعنوان: (المؤذن المبدع).

*** دورة علمية في فن الخطابة والوعظ.

*** دورة علمية بعنوان:(الدعوة إلىٰ الله بلغة الغير) اللغة الإنجليزية.

3- المتابعة والتواصل مع الطلاب بشكل مستمر.

4- عقد اختبارات ومن ثم التقييم لكل طالب.

وكانت النتائج طيبة ورائعة ومثمرة، ولله الفضل ومنه التوفيق.

هذا باختصار...

والشاهد من ذكر هذا الكلام: أننا نستطيع تقوية وتطوير قدرات الأولاد بشكل مميز، فالأمر سهل وليس بالصعب، إنما الصعب غياب العزيمة، وحضور التثبيط.

وهذا المشروع كان في مدة شهرين تقريبًا، وبما لا يزيد عن (15 لقاء)، فكيف بك أنت أيها المربي، والذي تعيش طوال عمرك مع أبنائك ؟!

ومن تكن العلياء همة نفسه *** فكل الذي يلقاه فيها محبب

أيها المربي، ليكن شعارك (أولادي هم قادة الغد) (أولادي هم علماء المستقبل).

أيها المربي،في مسيرتك التربوية خذ بوصية النبي المعلم"استعن بالله ولا تعجز"فإياك والعجز، إياك والكسل، وعليك بالمبادرة والمثابرة.

اطلب العلم ولا تكسل فما *** أبعد الخير عن أهل الكسل

واحتفل بالفقه في الدين ولا *** تشتغل عنه بمال وخول

واهجر النوم وحصله فمن *** يعرف المطلوب يحقر ما بذل

لا تقل قد ذهبت أربابه *** كل من سار علىٰ الدرب وصل

أيها المربي، إن أردت الرقي بأبنائك نحو السيادة والريادة، فلابد من مرارة الصبر علىٰ العلم والتعلم، فإن مكانة الفتىٰ وعلو شانه تكون بتقواه وعلمه، وخلقه وحفظه.

اصبر علىٰ مرِّ الجفا من معلمٍ *** فإنَّ رسوبَ العلمِ في نفراتهِ

ومنْ لم يذق مرَّ التعلمِ ساعةً *** تجرَّعَ ذلَّ الجهل طولَ حياته

ومن فاتهُ التَّعليمُ وقتَ شبابهِ *** فكبِّر عليه أربعًا لوفاته

وَذَاتُ الْفَتَىٰ -واللهِ- بالْعِلْمِ وَالتُّقَىٰ *** إذا لم يكونا لا اعتبار لذاتهِ

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا

أعده:

خالد بن هشام آل عرفة

عفا الله عنه وعن والديه وجميع المسلمين

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الخاتمة:

أبناؤنا وطلابنا كالشجرة الطيبة، كلما اعتنيت بها، وأشبعتها سقيها، أعطتك ثمراً طيب الطعم، جميل المظهر، حلو الرائحة، فإن أهملتها لم تأخذ منها شيئًا ...

أيها المربي: هيا إلىٰ انطلاقة جديدة نحو تربية إسلامية صحيحة شاملة هادفة .

أيها المربي: هيا إلىٰ انطلاقة جديدة نحو تصحيح المفاهيم التربوية، والمعاني الواقعية .

أيها المربي: هيا إلىٰ تطبيق الأساليب النبوية السديدة، لتحيا الحياة السعيدة .

أيها المربي: هيا إلىٰ تطبيق المعاني التربوية النبوية الرشيدة، لتعيش العيشة الحميدة .

أيها المسلمون:

هيا إلىٰ حياة تربوية ملؤها الرفق والرحمة والحب والوئام، والتقدير والاحترام، كما أرشدنا خير الأنام .

هيا إلىٰ حياة يتذوق فيها أبناؤنا السعادة، ويشعرون فيها أنهم السادة، كي تكون لهم في الغد القيادة .

(كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)

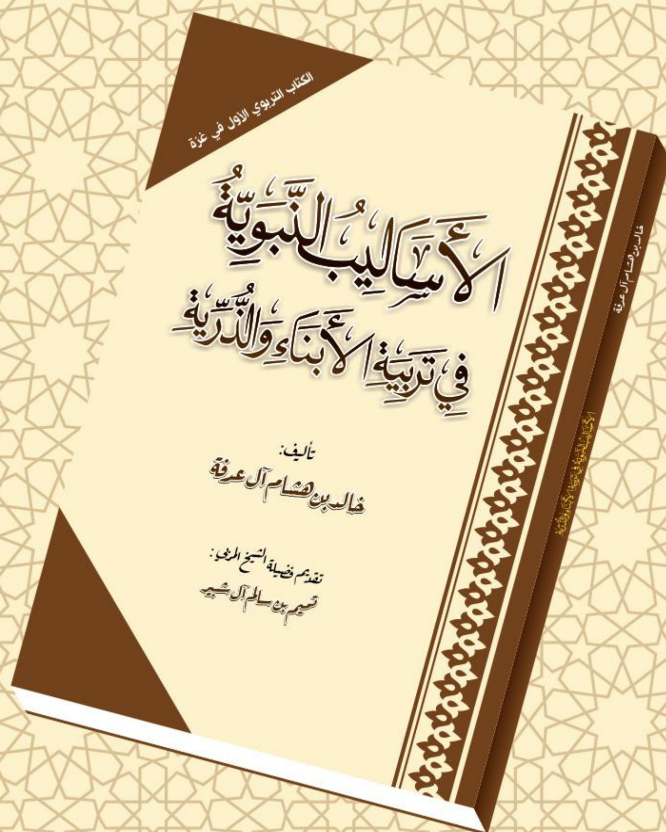
أعده:

خالد بن هشام آل عرفة

عفا الله عنه وعن والديه وجميع المسلمين

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فهرست المحتويات


الكتاب التربوي الأول في غزة
الأساليب النبوية
في تربية الأبناء والذرية
تأليف:
خالد بن هشام آل عرفة
تقديم فضيلة الشيخ المربي:
تميم بن سالم آل شبير